٤٨١
ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداذ

في هذه السنة، في صفر، شرع أهل باب البصرة في بناء القنطرة الجديدة، ونقلوا الآجُرَّ في أطباق الذَّهب والفضّة وبين أيديهم الدَّبادب، واجتمع إليهم أهل المحالّ؛ وكثُر عندهم أهل باب الأزَج في خَلق لا يُحصى.

واتّفق أنّ كوهرائين سار في سُميريّة[١]، وأصحابه يسيرون على شاطىء دجلة بسَيره، فوقف أهل باب الأزَج على امرأة كانت تَسقي[٢] الناس من مُزمّلة لها على دجلة، فحملوا[٣] عليها، على عادة لهم، وجعلوا يكسرون الجِرار، ويقولون: الماء للسبيل! فلمّا رأت سعدَ الدولة كوهرائين استغاثت به، فأمر بإبعادهم عنها، فضربهم الأتراك بالمقارع، فسلّ العامّة سيوفهم وضربوا وجه فرس حاجبه سليمان، وهو أخصّ أصحابه، فسقط عن الفرس، فحمل كوهرائين الحنق على أن خرج من السُّميريّة[٤] إليهم راجلاً، فحمل أحدهم عليه، فطعنه بأسفل رمحه، فألقاه في الماء والطّين، فحمل أصحابه على العامّة، فقاتلوهم، وحرصوا (على الظفر بالذي)[٥] طعنه، فلم يصلوا إليه، (وأخذ ثمانية نفر)[٦]، فقتل أحدهم، وقَطع أعصاب ثلاثة نفر، وأرسل

---

(١) في (أ): «سيرفة».
(٢) في الباريسية: «الستسقي».
(٣) في (أ): «فجهلوا».
(٤) في (أ): «السيرمه».
(٥) في الأوربية: «بالظفر على الذي».
(٦) من الباريسية.

قباءه إلى الديوان وفيه أثر الطعنة والطّين يستنفر على أهل باب الأَزَج. ثم إن أهل الكرْخ عقدوا لأنفسهم طاقاً آخر على باب طاق الحرّانيّ، وفعلوا كفِعل أهل باب البصرة[١].

ذكر إخراج الأتراك من حريم الخلافة

في هذه السنة، في ربيع الآخر، أمر الخليفة بإخراج الأتراك الذين مع الخاتون زوجته ابنة السلطان من حريم دار الخلافة.

وسبب ذلك أنّ تركيّاً منهم اشترى من طوّاف فاكهة، فتماكسا، فشتم الطّوافُ التركيَّ، فأخذ التركيُّ صَنْجة من الميزان وضرب بها رأس الطوّاف فشجّه، فاجتمعت العامّة، وكاد يكون بينهم وبين الأتراك شرٌّ[٢]، واستغاثوا[٣]، وشنّعوا، فأمر الخليفة بإخراج الأتراك، فأُخرجوا عن آخرهم، في ساعة واحدة، على أقبح صورة، وقت العشاء الآخرة[٤].

ذكر ملك الروم مدينة زَوِيلَة وعَودهم عنها

في هذه السنة فتح الروم مدينة زَوِيلَةَ من إفريقية، وهي بقرب المهديّة.

وسبب ذلك أنّ الأمير تميم بن المعزّبن باديس صاحبها، أكثر غزوَ بلادهم في البحر، فخرّبها، وشتّت أهلها، فاجتمعوا من كلّ جهة، واتّفقوا على إنشاء الشواني لغزو المهديّة، ودخل معهم البيشانيّون[٥]، والجَنَويّون وهما من الفرنج، فأقاموا يعمرون الأسطول أربع سنين، واجتمعوا بجزيرة قَوْصَرة في أربع مائة قطعة، فكتب أهل قَوْصَرة كتاباً على جناح طائر يذكرون وصولهم وعددهم وحكمهم على الجزيرة، فأراد تميم أن يسيّر عثمانَ بن سعيد المعروف بالمهر، مقدّم الأسطول الذي له،

---

(١) المنتظم ٩/٤٣، ٤٤ (١٦/٢٧٧).
(٢) في الأوربية: «شراً».
(٣) من (أ).
(٤) المنتظم ٩/٤٤ (١٦/٢٧٧، ٢٧٨).
(٥) في الباريسية: «البلساسون». وهم: البيزيّون، نسبة إلى ميناء پيزا بإيطالية.

ليمنعهم من النزول، فمنعه من ذلك بعض قوّاده، واسمه عبدالله بن منكوت، لعداوة بينه وبين المهر، فجاءت الروم، وأرسلوا، وطلعوا إلى البرّ، ونهبوا، وخرّبوا، وأحرقوا، ودخلوا زَوِيلة ونهبوها، وكانت عساكر تميم غائبة في قتال الخارجين عن طاعته.

ثم صالح تميم الروم على ثلاثين ألف دينار، وردّ جميع ما حووه من السبي، وكان تميم يبذل المال الكثير في الغرض الحقير، فكيف في الغرض الكبير؛ حُكي عنه أنّه بذل للعرب، لمّا استولوا على حصن له يسمّى قناطة[1] ليس بالعظيم، اثني عشر ألف دينار حتّى هدمه، فقيل له: هذا سرفٌ في المال؛ فقال: هو شرف في الحال[2].

ذكر وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور

في هذه السنة مات الناصر بن عَلناس بن حمّاد، ووليَ بعده ابنه المنصور، فاقتفى آثار أبيه في الحزم والعزم والرئاسة، ووصله كتب الملوك ورُسلهم بالتعزية بأبيه والتهنئة بالملك، منهم: يوسف بن تاشفين، وتميم بن المعزّ، وغيرهما[3].

ذكر وفاة إبراهيم ملك غَزنة وملك ابنه مسعود

في هذه السنة توفيّ الملك المؤيّد إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سُبُكتِكين، صاحب غَزْنة، وكان عادلاً، كريماً، مجاهداً، وقد ذكرنا من فتوحه ما وصل إلينا، وكان عاقلاً، ذا رأي متين، فمن آرائه أنّ السلطان ملشكاه بن ألب أرسلان السلجوقي جمع عساكره وسار يريد غَزنَة، ونزل باسفرار، فكتب إبراهيم بن مسعود كتاباً إلى جماعة من أعيان أمراء ملكشاه يشكرهم، ويعتدّ[4] لهم بما فعلوا من تحسين قصد ملكشاه بلاده[5] ليتمّ لنا ما استقرّ بيننا من الظفر به، وتخليصهم من يده، ويعدهم الإحسان على ذلك، وأمر القاصد بالكتب أن يتعرّض لملكشاه في الصيد، ففعل ذلك، فأُخذ، وأُحضر عند السلطان، فسأله عن حاله، فأنكره، فأمر السلطان بجلده، فجُلد،

---

(١) في (أ): «فاطة».
(٢) تاريخ الاسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٥.
(٣) البيان المغرب ١/٣٠١، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٥.
(٤) في الباريسية: «ويعتذر».
(٥) من (أ).

فدفع الكتب إليه بعد جهد ومشقّة، فلمّا وقف ملكشاه عليها تحيّل[1] من أمرائه وعاد، ولم يقُل لأحد من أمرائه في هذا الأمر شيئاً خوفاً أن يستوحشوا منه.

وكان يكتب بخطّه، كلّ سنة، مصحفاً، ويبعثه مع الصدقات إلى مكّة، وكان يقول: لو كنتُ موضع أبي مسعود، بعد وفاة جدّي محمود، لما انفصمتْ[2] عُرى مملكتنا، ولكنّي الآن عاجز عن [أن] أستردّ ما أخذوه، واستولى عليه ملوك قد اتّسعت مملكتهم، وعظمت عساكرهم.

ولمّا توفّي ملك بعده ابنه مسعود، ولقبه جلال الدين، وكان قد زوّجه أبوه بابنة السلطان ملكشاه، وأخرج نظام المُلْك في هذا الإملاك والزّفاف مائة ألف دينار[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة حجّ الوزير أبو شجاع، وزير الخليفة، واستناب ابنه ربيب الدولة أبا منصور، ونقيب النقباء طِراد بن محمّد الزينبيّ[4].

وفيها أسقط السلطان ما كان يؤخذ من الحجّاج من الخفارة.

وفيها جمع آقسنقر، صاحب حلب، عسكره وسار إلى قلعة شَيْزَر فحصرها[5]، وصاحبها ابن مُنْقذ، وضيّق عليها، ونهب رَبَضَها، ثم صالحه صاحبها وعاد إلى حلب[6].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي أبو بكر أحمد بن أبي حاتم عبد الصّمد بن أبي الفضل الغُورَجيُّ[7]،

---

(١) في الأوربية: «تخيل».

(٢) في الأوربية: «انقصمت».

(٣) المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٩، دول الإسلام ٢/١٠، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٥، ٦، تاريخ ابن الوردي ٢/٣، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٢١، مآثر الإنافة ٢/٨.

(٤) المنتظم ٩/٤٤ (١٦/٢٧٨).

(٥) من (أ).

(٦) تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٤ (٢١)، الروضتين ١/٦١، مفرّج الكروب ١/١٩، ٢٠، زبدة الحلب ٢/١٠٥، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٩، الدرّة المضية ٤٣١، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص٦، تاريخ ابن الوردي ٢/٣.

(٧) انظر عن (الغورجي) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٤٩ رقم ١ وفيه مصادر ترجمته.

الهَرَويُّ؛ والقاضي محمود بن القاسم بن محمّد[1] أبو[2] عامر الأزديُّ، المهلبيُّ، راويا «جامع» التِّرمِذيّ، عن أبي محمّد الجراحيّ، رواه عنهما أبو الفتح الكَرُوخيُّ.

وتوفّي عبدالله بن محمّد[3] بن عليِّ بن محمّد (أبو إسماعيل)[4]، الأنصاريُّ، الهَرَويُّ، شيخ الإسلام، ومولده سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة، وكان شديد التعصّب في المذاهب.

ومحمّد بن إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد الباقَرْحِيُّ[5]، ومولده في شعبان، وهو من أهل الحديث والرواية.

وفي المحرّم توفّيت ابنة الغالب بالله بن القادر ودُفنت عند قبر أحمد، وكانت ترجع إلى دِين، ومعروفٍ كثير، لم يبلغ أحد في فعل الخير ما بلغت.

وفي شعبان توفّي عبد العزيز الصّحراويُّ[6] الزّاهد.

وفيها توفّي الملك أحمد ابن السلطان ملكشاه بمرو، وكان (وليّ عهد أبيه في السلطنة، وكان)[7] عمره إحدى عشرة سنة، وجلس الناس ببغداذ للعزاء سبعة أيّام في دار الخلافة، ولم يركب أحد فرساً، وخرج النساء ينحْن[8] في الأسواق، واجتمع الخلْق الكثير في الكرْخ للتفرّج والمناحات، وسوّد أهل الكرْخ أبواب عقودهم إظهاراً للحزن عليه[9].

---

(١) في طبعة صادر ١٠/١٦٨ «محمود بن محمد بن القاسم»، والتصويب من مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٢٦، ٢٢٧ رقم ٢٤٥) وهو توفي سنة ٤٨٧ هـ.

(٢) في الباريسية: «بن».

(٣) انظر عن (عبدالله بن محمد) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٥٣ ـ ٦٣ رقم ١٢ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٤) في (أ): «الاسمايلي».

(٥) انظر عن (الباقرحي) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٦٨ رقم ٢٥ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) انظر عن (الصحراوي في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٦٣ رقم ١٣، والمنتظم ٩/٤٥ رقم ٦٨ (١٦/٢٧٩ رقم ٣٥٩٠).

(٧) من (أ).

(٨) في (أ): «ونحن».

(٩) في الأوربية: «به».

٤٨٢
ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة

ذكر الفتنة ببغداذ بين العامّة

في هذه السنة، في صفر، كبس أهل باب البصرة الكرْخَ، فقتلوا رجلاً، وجرحوا آخر، فأغلق أهل الكرخ الأسواق، ورفعوا المصاحف، (وحملوا ثياب[١] الرجلَيْن وهي بالدم)[٢]. ومضوا إلى دار العميد كمال المُلْك أبي الفتح الدِّهِسْتانيّ مستغيثين، فأرسل إلى النقيب طِراد بن محمّد يطلب منه إحضار القاتلين، فقصد طِراد دارْ الأمير بوزان[٣] بقصر ابن المأمون، فطالبه بوزان بهم، (ووكّل به)[٤]، فأرسل الخليفة إلى بوزان يعرّفه حال النقيب طِراد، ومحلّه، ومنزلته، فخلّى سبيله واعتذر إليه، فسكّن العميد كمال الملك الفتنة، وكفّ الناس بعضهم عن بعض، ثم سار إلى السلطان، فعاد الناس إلى ما كانوا فيه من الفتنة، ولم ينقض يوم إلاّ عن قَتْلَى وجَرْحَى[٥].

ذكر ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر

في هذه السنة ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر.

وسبب ذلك أنّ سَمَرْقَند كان قد ملكها أحمد خان بن خضر خان، أخو[٦] شمس

---

(١) في الأوربية: «أثياب».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «بوران».
(٤) من (أ).
(٥) المنتظم ٩/٤٧ ـ ٤٩ (١٦/٢٨١ ـ ٢٨٣)، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٨، البداية والنهاية ١٢/١٣٤ (حوادث ٤٨١ هـ).
(٦) في (أ): «أخي».

الملك، الذي كان قبله، وهو ابن أخي تركان خاتون، زوجة السلطان ملكشاه، وكان صبيّاً ظالماً، قبيح السيرة، يُكثر مصادرة الرعيّة، فنفروا منه، وكتبوا إلى السلطان سرّاً يستغيثون[1] به، ويسألونه القدوم عليهم ليملك بلادهم، وحضر الفقيه أبو طاهر بن علّك الشافعيُّ عند السلطان شاكياً، وكان يخاف من أحمد خان لكثرة ماله، فأظهر السفر للتجارة والحجّ، فاجتمع بالسلطان، وشكا إليه، وأطمعه في البلاد، فتحرّكت دواعي السلطان إلى ملكها، فسار من أصبهان.

وكان قد وصل إليه، وهو فيها، رسول ملك الروم، ومعه الخراج المقرّر عليه، فأخذه نظام الملك معهم إلى ما وراء النهر، وحضر فتح البلاد، فلمّا وصل إلى كاشْغَر أذِن له نظام المُلك في العَود إلى بلاده، وقال: أُحبّ أن يُذْكر عنّا في التواريخ (أنّ ملك الروم)[2] حمل الجِزية وأوصلها إلى باب كاشْغَر ليُنْهي إلى صاحبه سَعَةَ ملك السلطان ليعظم خوفه منه، ولا يحدّث نفسه بخلاف الطاعة. وهذا يدّل على همةٍ عالية تعلو[3] على العَيّوق.

ولمّا سار السلطان من أصبهان إلى خُراسان جمع العساكر من البلاد جميعها، فعبر النهر بجيوش لا يحصرها ديوان، ولا تدخل[4] تحت الإحصاء، فلمّا قطع النهر قصد بُخَارى، وأخذ ما على طريقه، ثم سار إليها وملكها وما جاورها من البلاد، وقصد سَمَرْقَند ونازلها، وكانت الملطّفات قد قدّمها إلى أهل البلد يعِدُهم النصر، والخلاص ممّا هم فيه من الظُّلْم، وحصر البلد، وضيّق عليه، وأعانه أهل البلد بالإقامات، وفرّق أحمد خان، صاحب سَمَرْقَند، أبراج السور على الأمراء ومن يثق به[5] من أهل البلد، وسلّم برجاً يقال له برج العَيّار إلى رجل علويّ كان مختصّاً به، فنصح في القتال.

فاتّفق أنّ ولداً لهذا العلويِّ أُخذ أسيراً ببخارى، فهُدّدَ الأبُ بقتله، فتراخى عن

(١) في الأوربية: «مستغيثون».
(٢) من الباريسية.
(٣) في الأوربية: «تعلوا».
(٤) في الباريسية: «يقع».
(٥) في الأوربية: «إليه».

القتال، فسهل الأمر على السلطان ملكشاه، ورمى[1] من السور عدّة ثُلَم بالمِنجنيقات، وأخذ ذلك البرج، فلمّا صعِد عسكر السلطان إلى السور هرب أحمد خان، واختفى في بيوت بعض العامّة فغُمِزَ عليه وأُخذ وحُمل إلى السلطان وفي رقبته حبل، فأكرمه السلطان، وأطلقه وأرسله[2] إلى أصبهان، ومعه من يحفظه، ورتّب بسَمَرْقَند الأمير العميد أبا طاهر عميد خُوارزم.

وسار السلطان قاصداً إلى كاشَغر، فبلغ إلى يُوزْكَند، وهو بلد يجري على بابه نهر، وأرسل منها رسلاً إلى ملك كاشغر يأمره بإقامة الخطبة، وضَرْب السكّة باسمه، ويتوعّده إن خالف بالمسير إليه. ففعل ذلك وأطاع، وحضر عند السلطان، فأكرمه وعظّمه، وتابع الإنعام عليه، وأعاده إلى بلده.

ورجع السلطان إلى خُراسان، فلمّا أبعد عن سَمَرْقَند لم يتّفق أهلها وعسكرها المعروفون[3] بالجكليّة مع العميد أبي طاهر، نائب السلطان عندهم، حتّى كادوا يثبون عليه، فاحتال حتّى خرج من عندهم، ومضى إلى خُوارِزم[4].

ذكر عصيان سَمَرْقَنْد

كان مقدّم العسكر المعروف بالجكليّة، واسمه عين الدولة، قد خاف السلطان لهذا الحادث، فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشْغَر، ومملكته تُعرف بآب نباشي[5]، وبيده قلعتها، واستحضره، فحضر عنده بسَمَرْقَند، واتّفقا، ثم إنّ يعقوب علم أنّ أمره لا يستقيم معه، فوضع عليه الرعيّة الذين كان أساء إليهم، حتّى ادّعوا عليه دماء قوم كان قتلهم، وأخذ الفتاوى عليه فقتله، واتّصلت الأخبار بالسلطان ملكشاه بذلك، فعاد إلى سمرقند[6].

---

(١) في الأوربية: «ورما».

(٢) في الباريسية: «وسار».

(٣) في الأوربية: «المعروفين».

(٤) نهاية الأرب ٣٢٧/٢٦، ٣٢٨، المختصر في البشر ١٩٩/٢، دول الإسلام ١٠/٢، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٨، ٩، تاريخ ابن الوردي ٣/٢، ٤.

(٥) في (أ) «باشي».

(٦) نهاية الأرب ٣٢٨/٢٦، العبر ٢٩٩/٣، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٩، مرآة الجنان=

ذكر فتح سمرقند الفتح الثاني

لمّا اتّصلت الأخبار بعصيان سَمَرْقَند بالسلطان ملكشاه، وقَتْل عين الدولة، مقدّم الجكليّة، عاد إلى سَمَرْقَند، فلمّا وصل إلى بخارى هرب يعقوب المستولي على سمرقند، ومضى إلى فَرغَانَة، ولحِق بولايته.

ووصل جماعة من عسكره إلى السلطان مستأمنين، فلقوه بقرية تُعرف بالطواويس، ولمّا وصل السلطان إلى سمرقند ملكها، ورتّب بها الأمير أبر[1]، وسار في أثر يعقوب حتّى نزل بيُوزْكَند، وأرسل العساكر إلى سائر الأكناف في طلبه.

وأرسل السلطان إلى ملك كاشْغَر، وهو أخو يعقوب، ليجدّ في أمره، ويرسله إليه، فاتّفق أنّ عسكر يعقوب شغبوا عليه، ونهبوا خزائنه، واضطروّه إلى أن هرب على فرسه، ودخل إلى أخيه بكاشْغَر مستجيراً به. فسمع السلطان بذلك، فأرسل إلى ملك كاشْغَر يتوعّده، إن لم يرسله إليه، أن يقصد بلاده ويصير هو العدوّ، فخاف أن يمنع السلطان، وأنِف أن يسلّم أخاه بعد أن استجار به وإن كانت بينهما عداوة قديمة، ومنافسة في الملك عظيمة، لما يلزمه فيه العار، فأدّاه اجتهاده إلى أن قبض على أخيه يعقوب، وأظهر أنّه كان في طلبه، فظفر به، وسيّره مع ولده، وجماعة من أصحابه، وكَلَّهم بيعقوب، وأرسل معهم هدايا كثيرة للسلطان، وأمر ولده أنّه إذا وصل إلى قلعة بقرب السلطان أن يَسمَل يعقوب ويتركه، فإن رضي السلطان بذلك، وإلاّ سلّمه إليه.

فلمّا وصلوا إلى القلعة عزم ابن ملك كاشْغَر أن يسمل عمّه، وينفذ فيه ما أمره به أبوه، فتقدّم بكَتْفه وإلقائه على الأرض، ففعلوا به ذلك، فبينما هم على تلك الحال، وقد أحْمَوا الميل ليسملوه، إذ سمعوا ضجّة عظيمة، فتركوه، وتشاوروا بينهم، وظهر عليهم انكسارٌ، ثم أرادوا (بعد ذلك)[2] سمله، ومنع منه بعض، فقال لهم يعقوب: أخبروني عن حالكم، وما يفوتكم الذي تريدونه منّي، وإذا فعلتم بي شيئاً ربّما ندمتم عليه.

= ٣/١٣٣، البداية والنهاية ١٢/١٣٥، مآثر الإنافة ٢/٤.

(١) في الباريسية: «أقسز».

(٢) من الباريسية.

فقيل له: إنّ طغرل بن ينّال أسرى من ثمانين فرسخاً في عشرات ألوف من العساكر، وكبس أخاك[١] بكاشْغَر، فأخذه أسيراً، ونهب عسكره، وعاد إلى بلاده، فقال لهم: هذا الذي تريدون تفعلونه بي ليس ممّا تتقرّبون به إلى الله تعالى، وإنّما تفعلونه اتّباعاً لأمر أخي، وقد زال أمره؛ ووعدهم الإحسان فأطلقوه.

فلمّا رأى السلطان ذلك ورأى طمع طغرل بن ينآل، ومسيره إلى كاشْغَر، وقَبْض صاحبها، وملكه لها مع قربه منه، خاف أن ينحلّ بعض أمره وتزول هيبته، وعلم أنّه متى قصد طغرل سار من بين يدَيْه، فإن عاد عنه رجع إلى بلاده، وكذلك يعقوب (أخو صاحب كاشْغَر)[٢]، وأنّه لا يمكنه المقام لسعة البلاد وراءه وخوف الموت بها، فوضع تاج الملك على أن يسعى في إصلاح أمر يعقوب معه، ففعل ما أمره به[٣] السلطان، فاتّفق هو ويعقوب، وعاد إلى خُراسان، وجعل يعقوب مقابل طُغْرُل يمنعه من القوّة، ومُلك البلاد، وكلّ منهما يقوم في وجه الآخر.

ذكر عَود ابنة السلطان زوجة الخليفة إلى أبيها

وفي هذه السنة أرسل السلطان[٤] إلى الخليفة يطلب ابنته طلباً لا بدّ منه.

وسبب ذلك أنّها أرسلت تشكو من الخليفة، وتذكر أنّه كثير الاطّراح لها، والإعراض عنها، فأذن لها في المسير، فسارت في ربيع الأوّل، وسار معها ابنها (من الخليفة)[٥] أبو الفضل جعفر بن المقتدي بأمر الله، ومعهما سائر أرباب الدولة، ومشى، مع محفّتها، سعد الدولة كوهرائين، وخدم دار الخلافة الأكابر، وخرج الوزير وشيّعهم إلى النّهروان وعاد.

وسارت الخاتون إلى أصبهان، فأقامت بها إلى ذي القعدة، وتوفّيت، وجلس

---

(١) في الأوربية: «أخال».
(٢) من الباريسية.
(٣) في (أ): «فشفعه».
(٤) من (أ).
(٥) من (أ).

الوزير ببغداذ للعزاء سبعة أيّام، وأكثر الشعراء مراثيها ببغداذ، وبعسكر السلطان[1].

ذكر فتح عسكر مصر عكّا وغيرها من الشام

في هذه السنة خرجت عساكر مصر إلى الشام في جماعة من المقدّمين، فحصروا مدينة صور، وكان قد تغلّب عليها القاضي عين الدولة بن أبي عَقِيل[2]، وامتنع عليهم، ثم تُوفّي، ووليها أولاده، فحصرهم العسكر المصريُّ، فلم يكن لهم من القوّة ما يمتنعون بها، فسلّموها إليهم[3].

ثم سار العسكر عنها إلى مدينة صيد، ففعلوا بها كذلك[4].

ثمّ ساروا إلى مدينة عكّا، فحصروها، وضيّقوا على أهلها، فافتتحوها[5].

---

(١) نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٠، دول الإسلام ٢/ ١١، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٩، ١٠، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) انظر عن أسرة بني أبي عقيل دراستنا في: دراسات في تاريخ الساحل الشامي ـ لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٠٥ ـ ١٣٧ ـ طبعة دار الإيمان ١٩٩٤.

(٣) انظر عن (صور) في: تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٥ (٢٢)، وذيل تاريخ دمشق ١٢٠، وأخبار مصر ٢/ ٢٨، والأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٥، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٨، وتاريخ سلاطين المماليك ٣ و ٢٣٩، ودول الإسلام ٢/ ١١، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٢، واتعاظ الحنفا ٢/ ٣٢٦، والمقفّى الكبير ٢/ ٣٩٩ و ٣/ ٧٦٤، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٨.

وجاء في رفع الإصر عن قضاة مصر ق ١/ ١٣١ أن بدراً الجمالي لم يزل ينتقل في الإمرة من دمشق إلى صور حتى ملكها وأخرج صاحبها عين الدولة أبا الحسن محمد بن عبد الله بن عياض بن أبي عياض وكان قاضيها.

ويقول خادم العلم محقّق هذا الكتاب «عمر عبد السلام تدمري» أنّ بدراً الجمالي لم يُخرِج من صور أبا الحسن محمد بن عبد الله، لأنه كان قد مات سنة ٤٦٥ هـ. ولم يتنبّه محقق الكتاب إلى هذا الوهْم. (انظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية. . ص ١٢٩ و ١٣٧).

(٤) انظر عن (صيدا) في: ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٢٨، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٨، والدرّة المضية ٤٣٥، وتاريخ سلاطين المماليك ٣، ودول الإسلام ٢/ ١١، وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٢، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ). ص ١١، وإتعاظ الحنفا ٢/ ٣٢٦، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٢٨.

وكانت صيدا بيد «ثقة الملك ابن الطهماني» وقد هرب منها إلى طرابلس في البحر مستجيراً بجلال الملك ابن عمار. (ديوان ابن الخياط ٥٢).

(٥) انظر عن (عكا) في: ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٢٨، ونهاية الأرب =

وقصدوا مدينة جُبَيْل، فملكوها أيضاً. وأصلحوا أحوال هذه البلاد، وقرّروا قواعدها، وساروا عنها إلى مصر عائدين، واستعمل أمير الجيوش على هذه البلاد الأمراء والعُمّال[1].

ذكر الفتنة بين أهل بغداذ ثانية

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، كثُرت الفِتَن ببغداذ بين أهل الكرْخ وغيرها من المحالّ، وقُتل بينهم عدد كثير، واستولى أهل المحالّ على قطعة كبيرة من نهر الدَّجاج، فنهبوها، وأحرقوها، فنزل شِحنة بغداذ، وهو خُمارتِكِين النائب عن كوهرائين، على دجلة في خيله ورَجله، ليكفّ الناس عن الفتنة، فلم ينتهوا، وكان أهل الكرْخ يُجْرُون عليه وعلى أصحابه الجرايات والإقامات.

وفي بعض الأيّام وصل أهل باب البصرة إلى سُويقة غالبٍ، فخرج من أهل الكرْخ من لم تجرِ عادته بالقتال، فقاتلوهم حتّى كشفوهم. فركب خدم الخليفة، والحُجّاب، والنقباء، وغيرهم من أعيان الحنابلة، كابن عقيل، والكَلْوَذانيّ، وغيرهما، إلى الشِّحنة، وساروا معه إلى أهل الكرْخ، فقرأ عليهم مثالاً من الخليفة يأمرهم بالكفّ، ومعاودة السكون، وحضور الجماعة والجمعة، والتديّن بمذهب أهل السُّنَّة، فأجابوا إلى الطاعة.

فبينما هم كذلك أتاهم الصّارخ من نهر الدجاج بأنّ السُّنّة قد قصدوهم، والقتال عندهم، فمضوا مع الشِحنة، ومنعوا من الفتنة، وسكن الناس وكتب أهل الكرْخ على أبواب مساجدهم: خير الناس بعد رسول الله، ﷺ، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم عليّ، ومِن عند هذا اليوم ثار أهل الكرخ، وقصدوا شارع ابن أبي عوف ونهبوه، وفي جملة ما نهبوا دار أبي الفضل بن خَيرون المعدّل، فقصد الديوان مستنفراً، ومعه

= ٢٣٨/٢٨، ودول الإسلام ١١/٢، وسير أعلام النبلاء ٣٢٢/١٨، وتاريخ الإسلام ١١، وتاريخ سلاطين المماليك ٣، واتعاظ الحنفا ٣٢٦/٢، والنجوم الزاهرة ١٢٨/٥.

(١) انظر عن (جبيل) في: ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، وأخبار مصر لابن ميسّر ٢٨/٢، ونهاية الأرب ٢٣٨/٢٨، وتاريخ سلاطين المماليك ٣، ودول الإسلام ١١/٢، وتاريخ الإسلام ١١، ١٢، واتعاظ الحنفا ٣٢٦/٢.

الناس، ورفع العامّة الصلبان وهجموا على الوزير في حجرته، وأكثروا من الكلام الشنيع. وقُتل ذلك اليوم رجل هاشميّ من أهل باب الأزج بسهم أصابه، فثار العامّة هناك بعلويّ كان مقيماً بينهم، فقتلوه وحرقوه، وجرى من النهب، والقتل، والفساد أمور عظيمة، فأرسل الخليفة إلى سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، فأرسل عسكراً إلى بغداذ، فطلبوا المفسدين والعيّارين، فهربوا منهم، فهُدمت دورهم، وقُتل منهم ونُفي وسكنت الفتنة، وأمِن الناس[1].

ذكر حيلة[2] لأمير المسلمين ظهرت ظهوراً غريباً

كان بالمغرب إنسان اسمه محمّد بن إبراهيم الكزوليّ[3]، سيّد قبيلة كزولة[4] ومالك جبلها، وهو جبل شامخ، وهي قبيلة كثيرة، وبينه وبين أمير المسلمين يوسف بن تاشَفِين مودّة واجتماع، فلمّا كان هذه السنة أرسل يوسف إلى محمّد بن إبراهيم يطلب الاجتماع به، فركب إليه محمّد، فلمّا قاربه خافه على نفسه، فعاد إلى جبله، واحتاط لنفسه، فكتب إليه يوسف، وحلف له أنّه ما أراد به إلاّ الخير، ولم يحدّث نفسه بغدر. فلم يركن محمّد إليه.

فدعا يوسف حجّاماً، وأعطاه مائة دينار، وضمِن له مائة دينار أخرى، إن هو سار إلى محمّد بن إبراهيم واحتال على قتله. فسار الحجّام، ومعه مشاريط مسمومة، فصعِد الجبل، فلمّا كان الغد خرج ينادي لصناعته بالقرب من مساكن[5] محمّد، فسمع محمّد الصوت، فقال: هذا الحجّام من بلدنا؟ فقيل: إنّه غريب؛ فقال: أراه يُكثر الصياح، وقد ارتبت[6] بذلك، ائتوني به. فأُحضر عنده، فاستدعى حجّاماً آخر وأمره

---

(١) المنتظم ٩/ ٤٧، ٤٨ (١٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٤)، العبر في خبر من غبر ٣/ ٣٠١، ٣٠٢، دول الإسلام ٢/ ١١، تاريخ الإسلام ١٢، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٢، مرآة الجنان ٣/ ١٣٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٥، شذرات الذهب ٣/ ٣٦٧.

(٢) في الأوربية: «الحلية».

(٣) في (أ): «القزولي».

(٤) في (أ): «قزولة».

(٥) في (أ): «منازل».

(٦) في الأوربية: «ارتب».

أن يحجمه بمشاريطه التي معه، فامتنع الحجّام الغريب، فأُمسك وحُجم فمات، وتعجّب الناس من فطنته.

فلمّا بلغ ذلك يوسف ازداد غيظه، ولجّ في السعي في أذًى يوصله إليه، فاستمال قوماً من أصحاب محمّد، فمالوا إليه، فأرسل إليهم جراراً من عسل مسموم، فحضروا عند محمّد وقالوا: قد وصل[1] إلينا قوم معهم جرارٌ من عسل أحسن ما يكون، وأردنا إتحافك به؛ وأحضروها بين يدَيْه، فلمّا رآه أمر بإحضار خبز، وأمر أولئك الذين أهدوا إليه العسل أن يأكلوا منه، فامتنعوا، واستعفوه من أكله، فلم يقبل منهم، وقال: من لم يأكل قُتل بالسيف؛ فأكلوا، فماتوا عن آخرهم.

فكتب إلى يوسف بن تاشَفِين: إنّك قد أردتَ قتلي بكلّ وجه، فلم يظفّرك الله بذلك، فكفّ عن شرّك[2]، فقد أعطاك الله المغرب بأسره، ولم يعطني غير هذا الجبل، وهو في بلادك كالشامة البيضاء في الثور الأسود، فلم تقنع بما أعطاك الله، عزّ وجلّ. فلمّا رأى يوسف أنّ سرّه قد انكشف وأنّه لا يمكنه في أمره شيء لحصانة جبله أعرض عنه وتركه.

ذكر ملك العرب مدينة سوسة وأخذها منهم

في هذه السنة نقض ابن علويّ ما بينه وبين تميم بن المعزّ بن باديس أمير إفريقية من العهد، وسار في جمع من عشيرته العرب، فوصل إلى مدينة سُوسَة من بلاد إفريقية، وأهلها غارّون لم يعلموا به، فدخلها عنوةً، وجرى بينه وبين من بها من العسكر والعامّة قتال، فقُتل من الطائفتَيْن جماعة وكثر القتل في أصحابه والأسر، وعلم أنّه لا يتمّ له مع تميم حال، ففارقها، وخرج منها إلى حلّته من الصحراء.

وكان بإفريقية هذه السنة غلاء شديد، وبقي كذلك إلى سنة أربع وثمانين [وأربعمائة]، وصلحت أحوال أهلها، وأخصبت البلاد، ورخصت الأسعار، وأكثر أهلها الزرع[3].

---

(١) في الأوربية: «وصلوا».

(٢) في (أ): «سريرتك».

(٣) البيان المغرب ١/ ٣٠٢، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٢.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قطعت الحراميّة الطريق على قَفْلٍ كبير بولاية حلب، فركب آقسَنْقَر في جماعة من عسكره وتبِعهم، ولم يزل حتّى أخذهم وقتلهم، فأمِنت الطرق بولايته[(١)].

وفيها ورد العميد الأغرّ أبو المحاسن عبد الجليل بن عليّ الدِّهِسْتانيُّ إلى بغداذ عميداً، وعُزل أخوه كمال الملك على ما ذكرناه.

وفيها درّس الإمام أبو بكر الشاشيُّ في المدرسة التي بناها تاج الملك مُستوفي السلطان بباب إبرز من بغداذ، وهي المدرسة التاجيّة المشهورة[(٢)].

وفيها عُمِّرت منارة جامع حلب[(٣)].

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي الخطيب أبو عبدالله الحسين[(٤)] بن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد السُّلَميُّ، خطيب دمشق، في ذي الحجّة.

وفيها توفّي أحمد بن محمّد بن صاعد[(٥)] بن محمّد (أبو نصر)[(٦)] النَّيسابوريُّ رئيسها، ومولده سنة عشر وأربعمائة، وكان من العلماء.

---

(١) زبدة الحلب ٢/١٠٣، ١٠٤.

(٢) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٤، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٨، تاريخ الإسلام ١٢، البداية والنهاية ١٢/١٣٥، تاريخ الخلفاء ٤٢٥.

(٣) تاريخ حلب ٣٥٤ (٢١)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، زبدة الحلب ٢/١٠٥، مفرّج الكروب ١/٢١، المختصر في أخبار البشر ٢/١٩٩، تاريخ الإسلام ١٣، الدرة المضية ٤٣١، تاريخ ابن الوردي ٢/٤، البداية والنهاية ١٢/١٣٥، الأعلاق الخطيرة ج ١ ق ١/٣٢، الدر المنتخب لابن الشحنة ٦٣.

(٤) في طبعة صادر ١٠/١٨٠ «الحسين» وكذا في: تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ١١/١٥٦، والتصحيح من: الإكمال لابن ماكولا ١/٤٠١، وتكملة إكمال الإكمال للصابوني ٣٥ ـ ٣٧ رقم ٢٢، ومختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٧/٤٩ رقم ٥، والمشتبه في الرجال ١/٦٤، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) من ٨٤ رقم ٤٦، وتوضيح المشتبه ١/١٤٤.

(٥) انظر عن (أحمد بن محمد بن صاعد) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٧٤ ـ ٧٦ رقم ٣٩ وفيه مصادر ترجمته.

(٦) من (أ).

وعاصم بن الحسن[1] بن محمّد بن علي بن عاصم العاصميُّ البغداذيُّ من أهل الكرْخ، كان ظريفاً كيّساً، له شِعر حَسَن، فمنه:

ماذا على مُتَلوّنِ الأخلاقِ ... لو زارني، فأبثّهُ أشواقي
وأبوح بالشكوَى إليه تذلُّلاً، ... وأُفضّ خَتمَ الدَّمْعِ من آماقي
فعساه يَسمحُ بالوصالِ لمُدنَفٍ ... ذي لَوعةٍ، وصَبابةٍ، مُشتاقِ
أسَرَ الفؤادَ، ولم يرقَّ لمُوثَقٍ ... ما ضرّه لو جادَ بالإطلاقِ
إن كان قد لَسَبَتْ[2] عقاربُ صُدْغِهِ ... قلبي، فإنّ رُضَابَهُ درياقي[3]

وقال أيضاً:

فدَيتُ مَن ذُبْتُ شوقاً من محبّتِهِ، ... وصِرتُ من هَجرِه فوقَ الفِراش لَقا
سمعتُه يتغنّى، وهْو مُصطبِحٌ، ... أفديهِ مُصطبِحاً منه، ومُغْتبِقا
وأخْلَفَتْكَ ابنةُ البكريّ ما وعدَتْ، ... وأصْبحَ الحَبلُ منها واهياً خَلَقا

والصحيح أنّه تُوفّي سنة ثلاثٍ وثمانين [وأربعمائة].

وفيها، في جمادى الآخرة، توفّي الشريف أبو القاسم العلويُّ[4]، الدَّبُّوسيُّ، المدرّس بالنظاميّة ببغداذ، وكان فاضلاً فصيحاً[5].

(١) انظر عن (عاصم بن الحسن) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٠٧ ـ ١١٠ رقم ٨٩ في وفيات ٤٨٣ هـ. وفيه حشدت مصادر ترجمته.
(٢) في الأوربية: «لبست».
(٣) المستفاد من ذيل تاريخ بغداد للدمياطي ١٣٤.
(٤) هو علي بن أبي يعلى بن زيد بن حمزة. انظر عنه في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٩١ ـ ٩٣ رقم ٦٣ وفيه مصادر ترجمته.
(٥) زاد في (أ): «وتمت السنة».

٤٨٣

ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة

ذكر وفاة فخر الدولة أبي نصر بن جَهِير

في هذه السنة، في المحرّم، توفّي فخر الدولة أبو نصر محمّد بن محمّد بن جَهِير الذي كان وزير الخليفة بمدينة الموصل، ومولده بها سنة ثمانٍ وتسعين وثلاثمائة، وتزوّج إلى أبي العقارب شيخها، ونظر في أملاك جارية قِرواشٍ، المعروفة بسرهنك، ثم خدم بَرَكَة بن المقلّد[١]، حتّى قبض على أخيه قرواش وحبسه، ومضى بهدايا إلى ملك الروم، فاجتمع هو ورسول نصر[٢] الدولة بن مروان، فتقدّم فخر الدولة عليه، فنازعه رسول ابن مروان، فقال فخر الدولة لملك الروم: أنا أستحقّ التقدّم عليه لأنّ[٣] صاحبه يؤدّي الخراج إلى صاحبي.

فلمّا عاد إلى قريش بن بدران أراد القبض عليه، فاستجار بأبي الشداد، وكانت عُقَيل تُجير على أمرائها، وسار إلى حلب، فوزر لمعزّ الدولة أبي ثُمَال بن صالح. ثم مضى إلى مَلَطْيَةَ، ومنها إلى ابن مروان، فقال له: كيف أمنتَني وقد فعلتَ برسولي ما فعلتَ (عند ملك الروم)[٤]؟ فقال: حملني على ذلك نُصح صاحبي. فاستوزره، فعمر بلاده.

ووَزَر بعد نصر الدولة لولده، ثم سار إلى بغداذ، ووليَ وزارة الخليفة، على ما ذكرناه، وتولّى أخذ ديار بكر من بني مروان، على ما ذكرناه أيضاً، ثم أخذها منه السلطان، فسار إلى الموصل فتوفّي بها[٥].

---

(١) في (أ): «مقلد».

(٢) في (أ): «نصير».

(٣) في الأوربية: «لأنّه».

(٤) من الباريسية.

(٥) انظر عن (ابن جهير) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١١٨ ـ ١٢١ رقم ١٠٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

ذكر نهب العرب البصرة

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، نهب العرب البصرة نهباً قبيحاً.

وسبب ذلك أنّه ورد إلى بغداذ، في بعض السنين، رجل أشقر من سواد النِّيل يدّعي الأدب، والنجوم، ويستجري الناس، فلقّبه أهل بغداذ تِلْيَا[1]، وكان نازلاً في بعض الخانات، فسرق ثياباً من الديباج وغيره، وأخفاها (في خلفاً)[2]، وسار بها، فرآها الذين يحفظون الطريق، فمنعوه من السفر (اتّهاماً له)[3]، وحملوه إلى المقدّم عليهم، فأطلقه لُحرمة العِلم.

فسار إلى أمير من أمراء العرب من[4] بني عامر، وبلاده متاخمة الأحساء، وقال له: أنت تملك الأرض، وقد فعل أجدادك بالحاجّ كذا وكذا، وأفعالهم مشهورة، مذكورة في التواريخ؛ وحسّن له نهب البصرة وأخذها، فجمع من العرب ما يزيد على عشرة آلاف مقاتل، وقصد البصرة، وبها العميد عِصمة، وليس معه من الجند إلاّ اليسير، لكون الدنيا آمِنةً من ذاعر، ولأنّ الناس في جنّةٍ من هيبة السلطان، فخرج إليهم في أصحابه، وحاربهم، ولم يمكّنهم من دخول البلد، فأتاه من أخبره أنّ أهل البلد يريدون أن يسلّموه إلى العرب، فخاف، ففارقهم، وقصد الجزيرة التي هي مكان القلعة بنهر معقل.

فلمّا علم أهل البلد بذلك فارقوا ديارهم وانصرفوا، ودخل العرب حينئذٍ البصرة، وقد قويت نفوسهم، وملكوها، ونهبوا ما فيها نهباً شنيعاً، فكانوا ينهبون نهاراً، وأصحاب العميد عِصْمة ينهبون ليلاً، وأحرقوا مواضع عدّة، وفي جملة ما أحرقوا داران[5] للكتب إحداهما وُقِفت قبل أيّام عضُد الدولة بن بُوَيْه، فقال عُضد الدولة: هذه مَكْرُمة سُبِقنا إليها؛ وهي أوّل دار وُقفتْ في الإسلام. والأخرى وقفها

(١) في الباريسية: تليا (بفتح التاء).
(٢) من (أ).
(٣) من الباريسية.
(٤) في (أ): «من بلاد».
(٥) في الأوربية: «دارين».

الوزير أبو منصور بن شاه مَرِدان، وكان بها نفائس الكتب وأعيانها، وأحرقوا أيضاً النخّاسين وغيرَها من الأماكن.

وخرّبت وقوف البصرة التي لم يكن لها نظير، من جملتها: وقوف على الحمّال(١) الدائرة على شاطىء دجلة، وعلى الدواليب التي تحمل الماء وتُرقّيه إلى قِنَى(٢) الرصاص الجارية إلى المصانع، وهي على فراسخ من البلد، وهي من عمل محمّد بن سليمان(٣) الهاشميّ وغيره.

وكان فعل العرب بالبصرة أوّل خرق جرى في أيّام السلطان ملكشاه. فلمّا فعلوا ذلك، وبلغ الخبر إلى بغداذ، انحدر سعد الدولة كوهرائين، وسيف الدولة صدقة بن مَزْيد إلى البصرة لإصلاح أمورها، فوجدوا العرب قد فارقوها.

ثم إنّ تلْيَا أُخذ بالبحرين، وأُرسل إلى السلطان، فشهّره ببغداذ سنة أربع وثمانين [وأربعمائة] على جَمَل، وعلى رأسه طُرطُورٌ، وهو يُصْفَع بالدِّرَّة، والناس يشتمونه، ويسبّهم(٤)، ثم أمر به فصُلب(٥).

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة قدِم الإمام أبو عبدالله الطبريُّ بغداذ، في المحرّم، بمنشور من نظام المُلك بتوليته تدريس المدرسة النظاميّة، ثم ورد بعده، في شهر ربيع الآخر من السنة، أبو محمّد عبد الوهاب الشيرازيُّ، وهو أيضاً معه منشور بالتدريس، فاستقرّ أن يدرّس يوماً، والطبريّ يوماً(٦).

---

(١) في (أ): «الجمال».

(٢) في (أ): «قناة».

(٣) في (أ): «سليمان بن محمد».

(٤) في الباريسية: «ويشتمهم».

(٥) تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٣، دول الإسلام ٢/ ١١، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٦.

(٦) الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٤، المنتظم ٩/ ٥٣ (١٦/ ٢٨٩)، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٨، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٦، تاريخ ابن خلدون ٥/ ١٣.

٤٨٤
ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة

ذكر عزل الوزير أبي شجاع ووزارة عميد الدولة بن جَهِير

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، عُزل الوزير أبو شجاع من وزارة الخليفة.

وكان سبب عزله أنّ إنساناً يهوديّاً ببغداذ يقال له أبو سعد بن سَمْحا كان وكيل السلطان ونظام المُلك، فلقيه إنسان يبيع الحُصر[١]، فصفعه صفعةً أزالت عمامته (عن رأسه)[٢]، فأُخذ الرجل، وحُمل إلى الديوان، وسُئل عن السبب في فِعله، فقال: هو وضعني على نفسه؛ فسار كوهرائين ومعه ابن سَمحا اليهودي إلى العسكر يشكوان، وكانا متّفقَيْن على الشكاية من الوزير أبي شجاع.

فلمّا سارا خرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمّة بالغيار، ولُبْس ما شرط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب، رضي الله عنه، فهربوا كلّ مهربٍ؛ أسلم بعضهم، فممّن أسلم أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن موصلايا[٣] الكاتب، وابن أخيه[٤] أبو نصر هبة الله بن الحسن بن عليّ صاحب الخبر، أسلما على يدَي الخليفة.

ونُقل أيضاً عنه إلى السلطان ونظام المُلك أنّه يكسر أغراضهم ويقبّح أفعالهم، حتى إنّه لمّا ورد الخبر بفتح السلطان سمرقند قال: وما هذا ممّا يُبشّر به، كأنّه قد فتح

(١) في الأوربية: «الخصر».
(٢) من (أ).
(٣) في الباريسية: «الموصلايا».
(٤) في (أ): «ابن اخته».

بلاد الروم، هل أتى إلاّ إلى قوم مسلمين موحّدين، فاستباح منهم ما لا يستباح من المشركين!

فلمّا وصل كوهرائين وابن سمحا إلى العسكر وشَكَوَا من الوزير إلى السلطان ونظام المُلْك، وأخبراهما بجميع ما يقول عنهما، ويكسر من أغراضهما، أرسلا إلى الخليفة في عزله، فعزله، وأمره بلزوم بيته، وكان عزله يوم الخميس، فلمّا أُمر بذلك أنشد:

تـولأَّهـا وليـسَ لـه عـدوّ، وفـارقهـا وليـسَ لـهُ صَـدِيـقُ

فلمّا كان الغد، يوم الجمعة، خرج من داره إلى الجامع راجلاً، واجتمع الخلق العظيم عليه، فأُمر أن لا يخرج من بيته، ولمّا عُزل استنيب في الوزارة أبو سعد بن موصلايا، كاتب الإنشاء، وأرسل الخليفة إلى السلطان ونظام المُلك يستدعي عميد الدولة بن جَهِير ليستوزره، فسُيِّر إليه، فاستوزره في ذي الحجّة من هذه السنة، وركب إليه نظام المُلك، فهنأه بالوزارة في داره، وأكثر الشعراء تهنئته بالعود إلى الوزارة[1].

ذكر ملك أمير المسلمين بلاد الأندلس التي للمسلمين

في هذه السنة، في رجب، ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشَفين، صاحب بلاد المغرب، من بلاد الأندلس ما هو بيد المسلمين: قُرطُبة وإشبيلية، وقَبَض على المعتمد بن عبّاد صاحبها، وملك غيرها من الأندلس.

ولقد جرى للرشيد بن المعتمد حادثة شبيهة بحادثة الأمين محمّد بن هارون الرشيد.

قال أبو بكر عيسى بن اللُّبانة الدانيُّ، من مدينة دَانِية: كنتُ يوماً عند الرشيد بن المعتمد في مجلس أُنسِهِ سنة ثلاثٍ وثمانين وأربعمائة، فجرى ذِكر غَرناطة، وملك أمير المسلمين لها، وقد ذكرنا أخذها في وقعة الزلاّقة، فلمّا ذكرناها تفجّع، وتلهّف،

---

(١) المنتظم ٩/٥٦ (١٦/ ٢٩٠، ٢٩١)، تاريخ دولة آل سلجوق ٧٧، ٧٨، الفخري ٢٩٨، نهاية الأرب ٢٣/٢٥١، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٢.

واسترجع، وذكر قصرها[١]، فدعونا لقصره[٢] بالدوام، ولملكه (بتراخي الأيّام)[٣].
فأمر عند ذلك أبا بكر الإشبيليّ بالغناء فغنّى:

يـا دارَ مَيّـةَ بـالعَليـاء فـالسَّنَـدِ أقْـوَتْ، وطـالَ عليهـا سـالـفُ الأبـدِ

فاستحالت مسرّتُهُ، وتَجهّمَت أسِرّته. ثم أمر بالغناء من سِتارته فغُنّي:

إن شئـتَ أن لا تـرى صَبـراً لمُصْطَبـرٍ، فـانظـر إلـى أيّ حـالٍ أصبـحَ الطَّلَـلُ

فتأكّد[٤] تطيّرُهُ، واشتدّ اربدادُ وجهه وتغيّرُه، وأمر مُغَنّيةً أخرى بالغناء، فغنّتْ:

يـا لَهْـفَ نفسـي علـى مـالٍ أُفـرّقُـهُ[٥] علـى المُقِلّيـنَ مـن أهـلِ المُـرُوءاتِ
إنّ اعتـذاري إلـى مَـن جـاء يسـألُنـي مـا ليـسَ عنديَ مـن إحـدى المُصيبـاتِ

قال ابن اللّبانة: فتلافيتُ الحال بأن قمتُ فقلتُ:

محـلُّ مَكـرُمـةٍ لا هُـدَّ مَبنـاهُ، وشَمْـلُ مَـأثُـرَةٍ لاَ شَتّـَهُ اللهُ
البَيـتُ كـالبَيـتِ لكِـنْ زادَ ذا شَـرفـاً، إنَّ الـرشيـدَ مـع المُعتَـدّ رُكنـاهُ
ثـاوٍ علـى أنْجُـمِ الجَـوزاء مَقعَـدُهُ، وراحـلٌ فـي سبيـلِ اللهِ مَثـواهُ
حتمٌ على المَلْك أن يقوَى وقد وُصِلَتْ بـالشَّـرقِ والغَـربِ يُمنـاه ويُسْـراهُ
بـأسٌ تـوقّـد، فـاحمـرّتْ لَـواحظُـهُ[٦] ونـائِـلٌ شَـبَّ، فـاخضـرَّتْ عِـذاراهُ

فلَعمري قد بسطتُ من نفسه، وأعدتُ عليه بعض أُنسه. على أني وقعت فيما وقع فيه الكلّ بقولي البيت كالبيت. وأمر إثر ذلك بالغناء فغُنّي:

ولمّـا قضَيْنـا مـن مِنـى كـلَّ حـاجـةٍ، ولـم يبـقَ إلاّ أن تُـزَمَّ الـركـائـبُ

فأيقنّا أن هذه الطِّيَر، تُعقب الغِيرَ. فلمّا أراد أمير المسلمين ملْك الأندلس سار من مَرّاكُش إلى سَبتة، وأقام بها، وسيّر العساكر مع سِير بن أبي بكر وغيره إلى

---

(١) في (أ): «قصريها».
(٢) في (أ): «لعصره».
(٣) من الباريسية.
(٤) في الباريسية: «فأكد».
(٥) في (أ): «أجود به».
(٦) في (أ): «ملاحظة».

الأندلس، فعبروا الخليجَ فأتوا مدينة مُرسِية، فملكوها وأعمالها، وأخرجوا صاحبها أبا عبدالرحمن بن طاهر منها، وساروا إلى مدينة شاطِبة ومدينة دَانِية فملكوهما.

وكانت بَلَنْسِيَةُ قد ملكها الفرنج قديماً، بعد أن حصروها سبع سنين، فلمّا سمعوا بوقعة الزَّلاّقة، فارقوها، فملكها المسلمون أيضاً. وعمروها وسكنوها، فصارت الآن للمرابطين.

وكانوا قد ملكوا غَرناطة نوبةَ الزَّلاّقة، فقصدوا[1] مدينة إشبِيلِية، وبها صاحبها المعتمد بن عَبّاد، فحصروه بها، وضيّقوا عليه، فقاتل أهلها قتالاً شديداً، (وظهر من شجاعة)[2] المعتمد، وشدّة بأسه، وحُسن دِفاعه عن بلده ما لم يُشاهَدْ من غيره ما يقاربه، فكان يُلقي نفسه في المواقف التي لا يُرجَى خلاصه منها، فيسلم بشجاعته، وشدّة نفسه، ولكن إذا نفدت المدّة، لم تُغْنِ العُدّة.

وكانت الفرنج قد سمعوا بقصد عساكر المرابطين بلاد الأندلس، فخافوا أن يملكوها ثم يقصدوا بلادهم، فجمعوا فأكثروا، وساروا ليساعدوا المعتمدَ، ويُعينوه على المرابطين، فسمع سِير بن أبي بكر، مقدّم المرابطين، بمسيرهم، ففارق إشبيلِية وتوجّه إلى لقاء الفرنج، فلقيهم، وقاتلهم، وهزمهم، وعاد إلى إشبيلِية فحصرها، ولم يزل الحصار دائماً، والقتال مستمرّاً إلى العشرين من رجب من هذه السنة، فعظُم الحرب ذلك اليوم، واشتدّ الأمر على أهل البلد، ودخله المرابطون من واديه، ونُهب جميع ما فيه، ولم يبقوا على سَبَدٍ ولا لَبَدٍ، وسلبوا الناس ثيابهم، فخرجوا من مساكنهم يسترون عوراتهم بأيديهم، وسُبيت المخدرات، وانتُهكت الحُرُمات، فأُخذ المعتمد أسيراً، ومعه أولاده الذكور والإناث، بعد أن استأصلوا جميع مالهم، فلم يصحبهم من ملكهم بُلغة زادٍ.

وقيل: إنّ المعتمد سلّم البلد بأمانٍ، وكتب نسخة الأمان والعهد، واستحلفهم به لنفسه، وأهله، وماله، وعبيده، وجميع ما يتعلّق بأسبابه. فلمّا سلّم إليهم إشبيلية لم يفوا له، وأخذوهم أُسراء، ومالهم غنيمةً، وسُيّر المعتمد وأهله إلى مدينة أغْماتَ،

(١) في الباريسية: «فملكوا».

(٢) في (أ): «وأظهر من شجاعته».

فحُبسوا فيها، وفعل أمير المسلمين بهم أفعالاً لم يسلكها أحد ممّن قبله، ولا يفعلها أحد ممّن يأتي بعده، إلاّ من رضي لنفسه بهذه الرذيلة، وذلك أنّه سجنهم فلم يُجْرِ عليهم ما يقوم بهم، حتّى كانت بنات المعتمد يغزلن للناس بأُجرةٍ ينفقونها على أنفسهم، وذكر ذلك المعتمد في أبيات تَرِدُ عند ذكر وفاته، فأبان أمير المسلمين بهذا الفعل عن صِغَر نفْسٍ ولؤم قُدرة[1].

وأغْمَات هذه مدينة في سفح جبل بالقرب من مَرَّاكُش، وسَيَرِدُ من ذكر المعتمد عند موته، سنة ثمانٍ وثمانين [وأربعمائة]، ما يُعْرَف به محلّه.

قال أبو بكر بن اللُّبانة: زُرْتُ المعتمِدَ بعد أسره بأغمات، وقلتُ أبياتاً[2] عند دخولي إليه، منها:

لم أقُلْ في الثِّقافِ كان ثِقافاً، ... كنتَ[3] قلباً به، وكان شغافا
يَمكثُ الزَّهرُ في الكِمام، ولكنْ ... بعدَ مكث الكِمام يدنو قِطافا
وإذا ما الهلالُ غابَ بِغَيْمٍ ... لَمْ يَكُنْ ذلكَ المَغِيبُ انكسافا
إنّما أنتَ دُرّة للمعالي[4]، ... ركّبَ الدهرُ فوقها أصْدَافا
حَجَبَ البيتُ منك شخصاً كريماً، ... مثلما تَحجُبُ الدّنان[5] السُّلافا[6]
أنتَ للفضل كعبةٌ، ولو أنّي ... كنتُ أستطيعُ لالتزمتُ الطّوافا

قال: وجرت بيني وبينه مخاطبات ألذّ من غفلات الرقيب، وأشهى من رشفات الحبيب، وأدلّ على السماح، من فجر على صباح.

ولمّا أُخِذ المعتمد وأهله قُتل ولداه الفتح ويزيد بين يدَيْه صبراً. فقال في ذلك:

---

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٠، العبر ٣/ ٣٠٤، دول الإسلام ٢/ ١٢، تاريخ الإسلام ١٥، مرآة الجنان ٣/ ١٣٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٧، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤، مآثر الإنافة ٢/ ٩، النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٣.

(٢) في الأوربية: «أبيات».

(٣) في (أ): «كان».

(٤) في (أ): «المعاني».

(٥) في (أ): «الزجاج».

(٦) في الباريسية: «سلافا».

يقولونَ صبراً! لاَ سَبيلَ إلى الصَّبرِ، سأبكي، وأُبكي ما تطاولَ مِن عُمري
أفَتْحٌ لقَد فتّحتَ لي بابَ رَحمةٍ، كمَا بِيَزيدَ، الله قد زاد في أجْري[1]
هوَى بكما المِقدارُ عنّي، ولم أمُتْ، فأُدعَى وفيّاً، قد نكَصْتُ[2] إلى الغَدرِ
ولو عُدتُما لاخترتُما العودَ في الثرى إذا أنتما أبصَرْتُماني في الأسْرِ
أبا خالدٍ أورثتَني البَثَّ خالداً، أبا نَصَر مُذ وَدّعتَ ودَّعني نصري

وكان المعتمد يكاتبه فضلاء البلاد، وهو محبوس، بالنثر والنظْم، يتوجّعون له، ويذمّون الزمان وأهلَه، حيثُ مثله منكوب؛ فمن ذلك ما قاله عبد الجبّار بن أبي بكر بن حَمدِيس، (وكتبه إليه)[3] يذكر مسيرَهم عن إشبيلية إلى أغمات:

جَرَى لكَ جَدٌّ بالكرامِ عَثُورُ، وجارَ زمانٌ كنتَ منه تُجيرُ
لقد أصبحَتْ بِيضُ الظُّبى في غُمودها إناثاً لتَرْكِ الضّربِ[4]، وَهْيَ ذُكورُ
ولمّا رحَلْتم بالنّدَى في أكُفّكُم، وقُلقِلَ رَضْوَى منكمُ وثَبِيرُ
رفَعْتُ لساني بالقيامة قد أتَتْ، ألا (فانظُروا كيفَ الجبالُ تَسِيرُ)[5]

وقال شاعره ابن اللُّبَانة في حادثته أيضاً:

تبكي السماءُ بدمعٍ[6] رائحٍ غادي على البَهاليلِ من أبناءِ عَبّادِ
على الجِبالِ التي هُدّتْ قَواعِدُها وكانتِ الأرضُ مِنها تَحْتَ أوتادِ[7]
عِرّيسةٍ دَخَلَتْها النائباتُ على أساوِدٍ منهمُ فيها وآسادِ
وكَعبةٍ كانتِ الآمالُ تَعمرُها، فاليومَ لا عاكفٌ فيها، ولا بادِ

ولمّا استقصى عسكر أمير المسلمين ملوك الأندلس، وأخذ بلادهم، جمع

(١) في (أ): «ذخري».
(٢) في (أ): «نسبت».
(٣) من (أ).
(٤) في الباريسية: «الظبي».
(٥) في (أ): «فهذي الجبال الراسيات تسير».
(٦) في (أ): «بمزن».
(٧) من الباريسية.

ملوكهم وسيّرهم إلى بلاد بالغرب[1]، وفرّقهم فيها؛ ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾[2].

ولمّا فرغ سِير من إشبيلية سار إلى المَرِيّة فنازلها، وكان صاحبها محمّد بن (معن بن صُمادح)[3]، فقال لولده: ما دام المعتمد بإشبيلِية فلا نبالي بالمرابطين. فلمّا سمع بملكهم لها، وما جرى للمعتمد، مات في تلك الأيّام غمّاً وكمداً، فلمّا مات سار ولده الحاجب وأهله في مراكب، ومعهم كلُّ مالهم[4]، وقصدوا بلاد بني حمّاد، فأحسنوا إليهم.

وكان عُمر بن الأفطس، صاحب بَطَلْيُوسَ، ممّن أعَان سِير على المعتمد، فلمّا فُتحت إشبيلية رجع ابن الأفطس إلى بلده، فسار إليه سِير، وحاربه، فغلبه[5]، وأخذ بلده منه، وأخذه أسيراً هو وولده الفضل، فقتلهما، فقال عمر حين أرادوا قتله: قدمّوا ولدي قبلي للقتل ليكون في صحيفتي! فقُتل ولده قبله، وقُتل هو[6] بعده، واحتوى سير[7] على ذخائرهم وأموالهم.

ولم يترك من ملوك الأندلس سوى بني هود، فإنّه لم يقصد بلادهم، وهي شرق الأندلس، وكان صاحبها حينئذٍ المستعين بالله بن هود، وهو من الشجعان الذين يُضرب المثل بهم، وكان قد أعدّ كلَّ ما[8] يحتاج إليه في الحصار، وترك عنده ما يكفيه عدّة سنين بمدينة روطَةَ، وكانت قلعة حصينة، وكانت رعيّته[9] تخافه، ولم يزل يهادي أمير المسلمين، قبل أن يقصد بلاد الأندلس ويَملِكها، ويواصله، ويُكثر مراسلته، فرعى له ذلك، حتّى إنّه أوصى ابنه عليَّ بن يوسف عند موته بترك التعرّض

---

(١) في (أ): «بالمغرب».
(٢) سورة النمل، الآية ٣٤.
(٣) في (أ): «صمادح بن معن».
(٤) في الأوربية: «كلّما لهم».
(٥) من (أ).
(٦) في الباريسية: «أبوه».
(٧) من الباريسية.
(٨) في الأوربية «كلّما».
(٩) في الباريسية: «رعية».

لبلاد بني هود، وقال: اتركهم بينك وبين العدوّ، فإنّهم شجعان[1].

ذكر ملك الفرنج جزيرة صَقَلّية

في هذه السنة استولى الفرنج، لعنهم الله، على جميع جزيرة صَقَلِّية، أعادها الله تعالى إلى الإسلام والمسلمين.

وسبب ذلك أنّ صَقَلّية كان الأمير عليها سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة أبا الفتوح يوسف بن عبدالله بن محمّد بن أبي الحسين، ولاّه عليها العزيز العلويُّ، صاحب مصر وإفريقية، فأصابه هذه السنة فالج، فتعطّل جانبه الأيسر، وضعُف الجانب الأيمن، فاستناب ابنه جعفراً، فبقي كذلك ضابطاً للبلاد، حسن السيرة في أهلها إلى سنة خمسٍ وأربعمائة، فخالف عليه أخوه عليّ، وأعانه جمع من البربر والعبيد، فأخرج إليه أخوه جعفر جُنداً من المدينة، فاقتتلوا سابع شعبان، وقُتل من البربر والعبيد خلْق كثير، وهرب من بقي منهم وأُخذ عليّ أسيراً، فقتله أخوه جعفر، وعظُم قتله على أبيه، فكان بين خروجه وقتله ثمانية أيّام.

وأمر جعفر حينئذٍ أن يُنفى كلّ بربريّ بالجزيرة، فنُفُوا إلى إفريقية، وأمر بقتل العبيد، فقُتلوا عن آخرهم وجعل جُنده كلّهم من أهل صِقلّية. فقلّ[2] العسكر بالجزيرة، وطمع أهل الجزيرة في الأمراء، فلم يمض إلاّ يسير حتّى ثار به أهل صِقِلّيّة، وأخرجوه، وخلعوه، وأرادوا قتله.

وسبب ذلك أنّه ولّى عليهم إنساناً صادرهم، وأخذ الأعشار من غلاّتهم، واستخفّ بقوادهم وشيوخ البلد؛ وقهر جعفر إخوته، واستطال عليهم، فلم يشعر إلاّ وقد زحف إليه أهل البلد كبيرهم وصغيرهم، فحصروه في قصره (في المحرّم)[3] سنة عشر وأربعمائة، وأشرفوا على أخذه، فخرج إليهم أبوه يوسف في محفّة، وكانوا له محبّين، فلطف بهم ورفق، فبكوا رحمةً له من مرضه، وذكروا له ما أحدث ابنه عليهم، وطلبوا أن يستعمل ابنه أحمد المعروف بالأكحل، ففعل ذلك.

(١) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٠، تاريخ الإسلام ١٦، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤.
(٢) في (أ): «فضعف فقتل».
(٣) من الباريسية.

وخاف يوسف على ابنه جعفر منهم، فسيّره في مركب إلى مصر، وسار أبوه يوسف بعده، ومعهما من الأموال ستّمائة ألف دينار وسبعون ألفاً، وكان ليوسف من الدوابّ ثلاثة عشر ألف حِجْرة، سوى البغال وغيرها، ومات بمصر وليس له إلاّ دابّة واحدة.

ولمّا وليَ الأكحل أخذ أمره بالحَزم والاجتهاد، وجمع المقاتلة، وبثّ سراياه في بلاد الكَفَرة، فكانوا يحرقون، ويغنمون، ويسبون، ويخرّبون البلاد، وأطاعه جميع قلاع صِقِلّية التي للمسلمين.

وكان للأكحل ابنٌ اسمه جعفر كان يستنيبه[١] إذا سافر، فخالف سيرة أبيه، ثم (إنّ الأكحل)[٢] جمع أهل صِقلّية وقال: أُحبّ أن أُشلِيكم على[٣] الإفريقيّين الذين قد شاركوكم في بلادكم، والرأي إخراجهم؛ فقالوا: قد صاهرناهم وصرنا شيئاً واحداً؛ فصرفهم. ثم أرسل إلى الإفريقيّين، فقال لهم مثل ذلك، فأجابوه إلى ما أراد، فجمعهم حوله، فكان يحمي أملاكهم، ويأخذ الخراج من أملاك أهل صقلّية، فسار من أهل صقلّية جماعة إلى المعزّ بن باديس، وشكوا إليه ما حلّ بهم، وقالوا: نحب أن نكون في طاعتك، وإلاّ سلّمنا البلاد إلى الروم، وذلك سنة سبْع وعشرين وأربعمائة، فسيّر معهم ولدَهُ عبدالله في عسكر، فدخل المدينة، وحصر الأكحل في الخلاصة، ثم اختلف أهل صَقَليّة، وأراد بعضهم نُصرة الأكحل، فقتله الذين أحضروا عبدالله بن المعزّ.

ثم إنّ الصقلّيين رجع بعضهم على بعض، وقالوا: أدخلتم غيركم عليكم، والله لا كانت عاقبة أمركم فيه[٤] إلى خير! فعزموا على حرب عسكر المعزّ، فاجتمعوا وزحفوا إليهم، فاقتتلوا، فانهزم عسكر المعزّ، وقُتل منهم ثمانمائة رجل، ورجعوا في المراكب إلى إفريقية، وولّى أهل الجزيرة عليهم حسناً الصمصام، أخا الأكحل، فاضطربت أحوالهم، واستولى الأراذل، وانفرد كلّ إنسان ببلد، وأخرجوا الصمصام،

---

(١) في (أ): «يستخلفه».
(٢) في الباريسية: «إنه».
(٣) في (أ): «أحب أن أفرغكم من».
(٤) من الباريسية.

فانفرد القائد عبدالله بن منكوت بمَازَرَ وطَرَابُنُش[1] وغيرهما، وانفرد القائد عليُّ بن نِعمة، المعروف بابن الحوّاس[2]، بقَصْريَانة[3] وجُرجنت وغيرهما، وانفرد ابن الثمنة[4] بمدينة سَرَقُوسَة، وقَطَانية[5]، وتزوّج بأخت ابن الحوّاس[6].

ثم إنّه[7] جرى (بينها وبين زوجها)[8] كلام فأغلظ كلٌّ منهما لصاحبه، وهو سكران، فأمر ابن الثمنة بفصدها في عضُدَيْها، وتركها لتموت، فسمع ولده إبراهيم، فحضر، وأحضر الأطبّاء، وعالجها إلى أن عادت قوّتها، ولمّا أصبح أبوه ندم، واعتذر إليها بالسكر، فأظهرت قبول عُذره.

ثم إنّها طلبت منه بعد مدّة أن تزور أخاها، فأذِن لها، وسيّر معها التُّحَف والهدايا، فلمّا وصلتْ ذكرت لأخيها ما فعل بها، فحلف أنّه لا يُعيدها إليه، فأرسل ابن الثمنة[9] يطلبها، فلم يردّها إليه، فجمع ابن الثمنة عسكره، وكان قد استولى على أكثر الجزيرة، وخُطب له بالمدينة، وسار، وحصر ابن الحوّاس بقَصْريَانة، فخرج إليه فقاتله، فانهزم ابن الثمنة، وتبعه إلى قرب مدينته قَطَانية[10]، وعاد عنه بعد أن قتل من أصحابه فأكثر.

فلمّا رأى ابن الثمنة أنّ عساكره قد تمزّقت، سوّلت له نفسه الانتصار بالكفّار لما يريده الله تعالى، فسار إلى مدينة مالطة[11]، وهي بيد الفرنج قد ملكوها لمّا خرج بردويل الفرنجيُّ الذي تقدّم ذكره سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة، واستوطنها الفرنج

---

(1) في (أ): «طرابلس».
(2) في الباريسية: «الجواس».
(3) في الباريسية: «بقصرنانه»، وفي (أ): «القصربانه».
(4) في الباريسية: «الشمة» و«الشمسة».
(5) في الباريسية: «قسطانية».
(6) في الباريسية: «الجواس».
(7) من (أ).
(8) في الباريسية: «جرى بينهما».
(9) في الباريسية: «الشمسه».
(10) في الباريسية: «قسطانية».
(11) في (أ): «مايطة».

إلى الآن؛ وكان ملكها حينئذ رُجّار[1] الفرنجيُّ في جمع من الفرنج، فوصل إليهم ابن الثمنة وقال: أنا أملّككم الجزيرة! فقالوا: إنّ فيها جُنداً كثيراً، ولا طاقة لنا بهم؛ فقال: إنّهم مختلفون، وأكثرهم يسمع قولي، ولا يخالفون أمري. فساروا معه في رجب سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائة، فلم يلقوا من يدافعهم، فاستولوا على ما مرّوا به في طريقهم، وقصد بهم إلى قَصْريانة فحصروها، فخرج إليهم ابن الحوّاس، فقاتلهم، فهزمه الفرنج، فرجع إلى الحصن، فرحلوا عنه، وساروا في الجزيرة، واستولوا على مواضع كثيرة، وفارقها كثير من أهلها من العلماء والصالحين، وسار جماعة من أهل صقليّة إلى المعزّ بن باديس، وذكروا له ما الناس فيه بالجزيرة من الخلف، وغَلبة الفرنج على كثير منها، فعمّر أسطولاً كبيراً[2]، وشحّنه بالرجال والعُدد، وكان الزمان شتاء، فساروا إلى قَوْصَرةَ، فهاج عليهم البحر، فغرق أكثرهم، ولم ينجُ إلاّ القليل.

وكان ذهاب هذا الأسطول ممّا أضعف المعزّ، وقوّى عليه العرب، حتّى أخذوا البلاد منه. فملك حينئذ الفرنج أكثر البلاد على مهلٍ وتؤدةٍ، لا يمنعهم أحد، واشتغل صاحب إفريقية بما دهمه من العرب، ومات المعزّ سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائة، ووليَ ابنه تميم، فبعث أيضاً أسطولاً وعسكراً إلى الجزيرة، وقدّم عليه ولدَيْه أيّوب وعليّاً، فوصلوا إلى صقلّية، فنزل أيّوب والعسكر المدينة[3]، ونزل عليٌّ جُرجنت، ثمّ انتقل أيّوب إلى جُرجنت، فأمر عليّ بن الحوّاس أن ينزل في قصره، وأرسل هديّة كثيرة.

فلما أقام أيّوب فيها أحبّه أهلها، فحسده ابن الحوّاس، فكتب إليهم ليُخرجوه، فلم يفعلوا، فسار إليه في عسكره، وقاتله، فشدّ أهل جُرجنت من أيّوب، وقاتلوا معه، فبينما ابن الحوّاس يقاتل أتاه سهم غربٍ فقتله، فملّك العسكر عليهم أيّوبَ.

ثمّ وقع بعد ذلك بين أهل المدينة وبين عبيد تميم فتنة أدّت إلى القتال، ثمّ زاد الشرّ بينهم، فاجتمع أيّوب وعليّ أخوه، ورجعا في الأسطول إلى إفريقية سنة إحدى وستّين [وأربعمائة]، وصحِبهم جماعة من أعيان صقلّية والأسطوليّة، ولم يبق للفرنج

---

(١) في الباريسية: «زحار»، وفي (أ): «راحار».
(٢) في (أ): «كثيراً».
(٣) من الباريسية.

ممانع، فاستولوا على الجزيرة، ولم يثبت بين أيديهم غير قَصْريانة وجُرجنت، فحصرهما الفرنج، وضيّقوا على المسلمين بهما، فضاق الأمر على أهلهما[1] حتّى أكلوا الميتة، ولم يبق عندهم ما يأكلونه. فأمّا أهل جُرجنت فسلّموها إلى الفرنج، وبقيت قَصْريانة بعدها ثلاث سنين، فلمّا اشتدّ الأمر عليهم أذعنوا إلى التسليم، فتسلّمها الفرنج، لعنهم الله، سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وملك رُجّار جميع الجزيرة وأسكنها الروم والفرنج مع المسلمين، ولم يترك لأحد من أهلها حمّاماً، ولا دكّاناً، ولا طاحوناً.

ومات رُجّار، بعد ذلك، قبل التسعين والأربعمائة، وملك بعده[2] ولده رُجّار، فسلك طريق ملوك المسلمين من الجنائب والحجّاب، والسلاحيّة، والجانْداريّة، وغير ذلك، وخالف عادة الفرنج، فإنّهم لا يعرفون شيئاً منه، وجعل له ديوان المظالم تُرفع[3] إليه شكوى المظلومين، فينصفهم ولو من ولده، وأكرم المسلمين، وقرّبهم ومنع عنهم الفرنج، فأحبّوه، وعمّر أسطولاً كبيراً، وملك الجزائر التي بين المهديّة وصقلّية، مثل مَالِطة، وقَوْصَرَة، وجَرْبَة، وقَرْقَنَة[4]، وتطاول إلى سواحل إفريقية، فكان منه ما نذكره إن شاء الله[5].

ذكر وصول السلطان إلى بغداذ

في هذه السنة، في شهر رمضان، وصل السلطان إلى بغداذ، وهي المرّة الثانية، ونزل بدار المملكة، ونزل أصحابه متفرّقين، ووصل إليه أخوه تاج الدولة تُتُش، وقسيم الدولة آقسَنْقَر، صاحب حلب، وغيرهما من زعماء الأطراف، وعُمل الميلاد ببغداذ، وتأنّقوا في عمله، فذكر الناس أنّهم لم يروا ببغداذ مثله أبداً، وأكثر[6] الشعراء وصف تلك الليلة، فممّن قال المطرّز:

---

(١) في الأوربية: «أهلها».

(٢) في الأوربية: «بعد».

(٣) في (أ): «يرفع».

(٤) في الباريسية: «مرقنه»، وفي (أ): «قرقية».

(٥) المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠١، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥١ و٢٨/ ٢٤٨، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٢، تاريخ الإسلام ١٦ ـ ١٨، العبر ٣/ ٣٠٤، دول الإسلام ٢/ ١٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٤، مرآة الجنان ٣/ ١٣٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٣٨، مآثر الإنافة ٢/ ٤، تاريخ الخلفاء ٤٢٥.

(٦) في الأوربية: «وأكثروا».

وكـلُّ نـارٍ علـى العُشّـاقِ مُضـرَمَـةٍ مـن نـارِ قلبي، أو مـن لَيلـةِ الصَّـدَقِ[1]
نـارٌ تجَلّـتْ بهـا الظّلمـاء، واشتَبَهَـتْ بسُـدفـةِ الليـلِ فيـه غُـرّةُ الفَلَـقِ
وزَارت الشمـسُ فيهـا البـدرَ واصطلحـا علـى الكـواكـب بعـدَ الغَيـظِ والحنَـقِ
مدّتْ على الأرض بُسطاً من جواهرها مـا بيـنَ مجتمـعٍ وارٍ ومُفْتَـرِقِ[2]
مثـلَ المصـابيـحْ إلاّ أنّهـا نَـزَلَـتْ مـن السمـاء بـلا رَجْـمٍ ولا حَـرَقِ
أعجِـبْ بنـارٍ ورِضـوانٌ يُسعّـرُهـا ومـالـكٌ قـائـمٌ منهـا علـى فَـرَقِ
فـي مجلسٍ ضحكَتْ روضُ الجِنان لـهُ لمّـا جـلا ثَغـره عـن واضـحٍ يَقَـقِ
وللشُّمـوعِ عُيـونٌ كلمّـا نَظَـرَت تظلّمـتْ مـن يـدَيهـا أنجُـمُ الغَسَـقِ[3]
مـن كـلّ مُـرهَفَـةِ الأعطـافِ كـالغُصُـنِ الميّـادِ، لكنّـه عـارٍ مـن الـوَرَقِ
إنـي لأعْجَـبُ[4] منهـا، وهْـيَ وادعـةٌ تبكـي، وعيشتُهـا مـن ضَـربـةِ العُنُـقِ

وفي هذه المرّة أمر بعمارة جامع السلطان، فابتدىء في عمارته في المحرّم سنة خمسٍ وثمانين وأربعمائة، وعمل قبلته بهرام منجّمه، وجماعة من أصحاب الرصد، وابتدأ بعده نظام المُلك، وتاج الملوك، والأمراء الكبار بعمل دُورٍ لهم يسكنونها إذا قدموا بغْداذ، فلم تطُلْ مدّتهم بعدها، وتفرّق شملهم بالموت، والقتل، وغير ذلك في باقي سنتهم، ولم تُغن عنهم عساكرهم وما جمعوا شيئاً، فسبحان الدائم الذي لا يزول أمره[5].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة وصل ابن أبي هاشم من مكّة مستغيثاً من التركمان.

---

(١) في طبعة صادر ١٠/١٩٩ «السذق». والمثبت من (أ) والمصادر.

(٢) في (أ): «ومتفرق».

(٣) في (أ): «الغثق».

(٤) في الأوبية: «لاعجبت».

(٥) في (أ): «ملكه». والشعر والخبر في: المنتظم ٩/٥٧، ٥٨ (١٦/٢٩٤، ٢٩٥) و٩/٧٠ (١٦/٢٩٨)، ونهاية الأرب ٢٦/٣٢٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/٢٠١، ٢٠٢، والروضتين ١/٦٥، وتاريخ الإسلام ١٩، ٢٠، وتاريخ ابن الوردي ٢/٥، والبداية والنهاية ١٢/١٣٧، ومآثر الإنافة ٢/٣، وتاريخ الخلفاء ٤٢٥.

وفي آخرها مرض نظام الملك ببغداذ، فعالج نفسه بالصدقة، فكان يجتمع بمدرسته من الفقراء والمساكين من لا يُحصى، وتصدّق عنه الأعيان، والأمراء من عسكر السلطان، فعوفي، وأرسل [له] الخليفة خِلعاً نفيسه.

وفيها، في تاسع شعبان، كان بالشام، وكثير من البلاد، زلازل كثيرة، وكان أكثرها بالشام، ففارق الناس مساكنهم، وانهدم بأنطاكية كثير من المساكن، وهلك تحتها عالم كثير، وخرب من سورها تسعون برجاً، فأمر السلطان ملكشاه بعمارتها[١].

[الوَفَيَات]

وفيها، في شوّال، توفّي أبو طاهر عبد الرحمن بن محمّد بن علك[٢] الفقيه الشافعيُّ، وهو من رؤساء الفقهاء الشافعيّة، وهو الذي تقدّم ذِكره في فتح سَمَرقَند، ومشى أرباب الدولة السلطانيّة كلّهم في جنازته، إلاّ نظام المُلك، فإنّه اعتذر بعُلوّ السّنّ، وأكثر البكاء عليه، ودُفن عند الشيخ أبي إسحاق (بباب أبرز)[٣]، وزار السلطان قبره.

وتوفّي محمّد بن عبدالله بن الحسن أبو بكر الناصح الحنفيُّ[٤]، قاضي الريّ، وكان من أعيان الفقهاء الحنفيّة يميل إلى الاعتزال، وكان موته في رجب.

وفيها (في شعبان)[٥] توفّي أبو الحسن عليُّ بن الحسين[٦] بن طاووس المقري بمدينة صور.

---

(١) تاريخ حلب ٣٥٥ (٢٢)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٠، ١٢١، نهاية الأرب ٢٣/٢٥١، دول الإسلام ٢/١٢، تاريخ الإسلام ٢٠، البداية والنهاية ١٢/١٣٨، النجوم الزاهرة ٥/١٣٢، كشف الصلصلة ١٨١، ١٨٢.

(٢) في (أ): «علمك». وانظر ترجمته ومصادرها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٢٧ رقم ١١٨.

(٣) من (أ).

(٤) انظر عن (الناصح الحنفي) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٣٦، ١٣٧ رقم ١٣١ وفيه مصادر ترجمته.

(٥) من (أ).

(٦) في طبعة صادر ١٠/٢٠١ (الحسين»، والتصحيح من مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٣٠، ١٣١ رقم ١٢٣.

٤٨٥
ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة

ذكر الحرب بين المسلمين والفرنج بجيّان

في هذه السنة جمع أذفونش عساكره، وجموعه، وغزا بلاد جَيّان من الأندلس، فلقيه المسلمون وقاتلوه، واشتدّت الحرب، فكانت الهزيمة أوّلاً على المسلمين، ثم إنّ الله تعالى ردّ لهم الكرّة على الفرنج، فهزموهم، وأكثروا القتل فيهم، ولم ينجُ إلاّ الأذفونش في نفرٍ يسير؛ وكانت هذه الوقعة من أشهر الوقائع، بعد الزلاّقة، وأكثَرَ الشعراءُ ذِكرها في أشعارهم[١].

ذكر استيلاء تُتُش على حمص وغيرها من ساحل الشام

لمّا كان السلطان ببغداذ قدِم إليه أخوه تاج الدولة تُتُش من دمشق، وقسيم الدولة آقسنقَر من حلب، وبُوزان من الرُّها، فلمّا أذِن لهم السلطان في العَود إلى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان أن يسيرا مع عساكرهما في خدمة أخيه تاج الدولة، حتّى يستولي على ما للخليفة المستنصر[٢] العلويّ، بساحل الشام، من البلاد، ويسير، وهم معه، إلى مصر ليملكها.

فساروا أجمعون[٣] إلى الشام، ونزل على حمص، وبها ابن مُلاعب صاحبها،

---

(١) العبر في خبر من غبر ٣/٣٠٧، تاريخ الإسلام ٢١، دول الإسلام ٢/١٢، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٢٢.

(٢) من (أ).

(٣) من (أ).

وكان الضرر به وبأولاده عظيماً على المسلمين، فحصروا البلد، وضيّقوا على من به، فملكه تاج الدولة، وأخذ ابن ملاعب وولدَيْه، وسار إلى قلعة عِرْقَة فملكها عَنوةً، وسار إلى قلعة أفامِيَةَ فملكها أيضاً، وكان بها خادم للمصريّ، فنزل بالأمان فأمنّه، ثم سار إلى طرابُلُس فنازلها، فرأى صاحبها جلال الملك بن عمّار جيشاً لا يُدفع إلاّ بحيلة، فأرسل إلى الأمراء الذين مع تاج الدولة، وأطمعهم ليُصْلِحوا حاله، فلم يَرَ فيهم مطمعاً.

وكان مع قسيم الدولة آقسنقَر وزير له اسمه زرّين كمر[1]، فراسله ابن عمّار فرأى عنده لِيناً، فأتحفه وأعطاه، فسعى مع صاحبه قسيم الدولة في إصلاح حاله ليدفع عنه، وحمل له ثلاثين ألف دينار، وتُحفاً بمثلها، وعرض عليه المناشير التي بيده من السلطان بالبلد، والتقدّم إلى النوّاب بتلك البلاد بمساعدته، والشدّ معه[2]، والتحذير من محاربته، (فقال آقسنقَر لتاج الدولة تُتُش: لا أقاتل مَنْ هذه المناشير بيده)[3]؛ فأغلظ له تاج الدولة، وقال: هل أنت إلاّ تابع لي؟ فقال آقسنقَر: أنا أتابعك إلاّ في معصية السلطان؛ ورحل من الغد عن موضعه، فاضطرّ تاج الدولة إلى الرحيل، فرحل غضبان، وعاد بُوزان أيضاً إلى بلاده، فانتقض هذا الأمر[4].

ذكر ملك السلطان اليمن

وكان ممّن[5] حضر أيضاً عند السلطان ببغداذ جبق أمير التركمان، وهو صاحب قَرمِيسِين وغيرها، فأمره السلطان أن يسير هو ومعه جماعة من أمراء السلطان[6]

---

(١) في (أ): «زريكمر».

(٢) في (أ): «منه».

(٣) من (أ).

(٤) تاريخ الفارقي ٢٣٣، تاريخ دولة آل سلجوق ٦٥، نهاية الأرب ٢٧/ ٦٥، ٦٦، مفرّج الكروب ١/ ٢١، ٢٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٢، الدرّة المضيّة ٤٣١، ٤٣٢، تاريخ الإسلام ٢٢، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٥، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٠، تاريخ ابن خلدون ٥/ ١١، النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٢، وانظر كتابنا: تاريخ طرابلس السياسي والحضاري ١/ ٣٧١، ٣٧٢، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٧٤، ١٧٥.

(٥) في (أ): «فيمن».

(٦) في (أ): «التركمان».

ذكرهم، إلى الحجاز واليمن، ويكون أمرهم إلى سعد الدولة كوهرائين، ليفتحوا البلاد هناك، فاستعمل عليهم سعدُ الدولة أميراً اسمه ترشك، فساروا حتّى وردوا اليمن، فاستولوا عليها، وأساءوا السيرة في أهلها، ولم يتركوا فاحشةً ولا سيئةً إلاّ ارتكبوها، وملكوا عَدن، وظهر على ترشك الجدريُّ، فتوفّي في سابع يوم من وصوله إليها، وكان عمره سبعين سنة، فعاد أصحابه إلى بغداذ، وحملوه، فدفنوه عند قبر أبي حنيفة، رحمة الله عليه[١].

ذكر مقتل نظام الملك

في هذه السنة، عاشر رمضان، قُتل نظام المُلك أبو عليّ الحسن بن عليّ بن إسحاق الوزير بالقرب من نَهَاوَنْد، وكان هو والسلطان في أصبهان، وقد عاد إلى بغداذ، فلمّا كان بهذا المكان، بعد أن فرغ من إفطاره، وخرج في محَفَتّه إلى خيمة حُرمه، أتاه[٢] صبيٌّ ديلميٌّ من الباطنيّة، في صورة مستميح، أو مستغيث، فضربه بسكّين (كانت معه)[٣]، فقضى عليه وهرب، فعثر بطنب خيمة، فأدركوه فقتلوه، وركب السلطان إلى خِيمه[٤]، فسكن عسكره وأصحابه.

وبقي وزير السلطان ثلاثين سنة سوى ما وزر للسلطان ألب أرسلان، صاحب خُراسان، أيّام عمّه طُغْرُلْبك، قبل أن يتولّى السلطنة، وكان عَلَت سِنّه، فإنّه كان مولده سنة ثمانٍ وأربعمائة.

وكان سبب قتله أنّ عثمان بن جمال المُلك بن نظام المُلك كان قد ولاّه جدّه نظام المُلك رئاسة مرو، وأرسل السلطان إليها شِحنة يقال له قودَن، وهو من أكبر مماليكه، ومن أعظم الأمراء في دولته، فجرى بينه وبين عثمان منازعة في شيء، فحملتْ عثمانَ حداثة سنّه، وتمكّنه، وطمعه بجدّه، على أن قبض عليه، وأخرق به، ثم أطلقه، فقصد السلطانَ مستغيثاً شاكياً، فأرسل السلطان إلى نظام المُلك رسالة (مع

(١) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٠ وفيه: «كوهراتين»، تاريخ الإسلام ٢٢، ٢٣.
(٢) في الأوربية: «فأتاه».
(٣) من الباريسية.
(٤) في (أ): «خيمته».

تاج الدولة[١] ومجد المُلك البلاسانيّ وغيرهما من أرباب دولته يقول له: إن كنتَ شريكي في الملك، ويدك مع يدي في السلطنة، فلذلك[٢] حكم، وإن كنت نائبي، وبحكمي، فيجب أن تلزم حدّ التبعيّة والنيابة، وهؤلاء أولادك قد استولى كلّ واحد منهم على كورة عظيمة، ووليَ ولاية كبيرة، ولم يقنعهم ذلك، حتّى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى[٣] أن فعلوا كذا وكذا؛ وأطال القول، وأرسل معهم الأمير يلبرد، وكان من خواصّه وثقاته، وقال له: تعرّفني ما يقول: فربّما كتم هؤلاء شيئاً.

فحضروا عند نظام المُلك وأوردوا عليه الرسالة، فقال لهم: قولوا للسلطان إن كنتَ ما علمتَ أني شريكك في المُلك فاعلم، فإنّك ما نلتَ هذا الأمر إلاّ بتدبيري ورأيي، أما يذكر حينَ قُتل أبوه فقمتُ بتدبير أمره، وقمعتُ الخوارج عليه من أهله، وغيرهم، منهم: فلان وفلان، وذكر جماعة مَنْ خرج عليه، وهو ذلك الوقت يتمسّك بي ويلزمني، ولا يخالفني، فلمّا قُدتُ الأمور إليه، وجمعتُ الكلمة عليه، وفتحتُ له الأمصار القريبة والبعيدة، وأطاعه القاصي والداني، أقبل يتجنّى لي الذنوب، ويسمع فيّ السعايات؟ قولوا له عنّي: إنّ ثبات تلك القَلَنْسُوَة معذوق بهذه الدواة، وإنّ اتّفاقهما رباط كلّ رغيبة[٤] وسبب كلّ غنيمة، ومتى أطبقتُ هذه زالت تلك، فإنْ عزم على تغيير فليتزوّد للاحتياط[٥] قبل وقوعه، وليأخذ الحذر من الحادث أمام طروقه؛ وأطال فيما هذا سبيله، ثم قال لهم: قولوا للسلطان عنّي مهما أردتم، فقد أهمّني[٦] ما لحِقني من توبيخه وفتّ[٧] في عَضُدي.

فلمّا خرجوا من عنده اتّفقوا على كتمان ما جرى عن السلطان، وأن يقولوا له ما مضمونه العبوديّة والتنصّل، ومضوا إلى منازلهم، وكان الليل قد انتصف، ومضى يلبرد إلى السلطان فأعلمه ما جرى، وبكّر الجماعة إلى السلطان، وهو ينتظرهم، فقالوا له

---

(١) من (أ).
(٢) في (أ): «فذلك».
(٣) في (أ): «في».
(٤) في الباريسية: «رعمته».
(٥) في الباريسية: «للاختلاط».
(٦) في (أ): «دهمني».
(٧) في الأوربية: «مافت».

من الاعتذار والعبوديّة ما كانوا اتّفقوا عليه، فقال لهم السلطان: إنّه لم يقلْ هذا، وإنّما قال كيت وكيت؛ فأشاروا حينئذٍ بكتمان ذلك رعاية لحقّ نظام المُلك، وسابقته، فوقع التدبير عليه، حتّى تمّ عليه من القتل ما تمّ.

ومات السلطان بعده بخمسة وثلاثين يوماً، وانحلّت الدولة، ووقع السيف، وكان قول نظام المُلك شبه الكرامة له، وأكثر الشعراء مراثيه، فمِن جيّد ما قيل فيه قول شبل الدولة مقاتل بن عطية:

كان الوزيرُ نظامُ الملكِ لؤلؤةً ... يتيمةً صاغَها الرحمن من شَرفِ
عزَّتْ[1]، فلم تَعرِفِ الأيامُ قيمتَها ... فردَّها، غَيرةً منه، إلى الصَّدَفِ

ورأى بعضهم نظام المُلك بعد قتله في المنام، فسأله عن حاله، فقال: كان يعرض عليّ جميع عملي لولا الحديدة التي أُصِبتُ بها؛ يعني القتل[2].

ذكر ابتداء حاله[3] وشيء من أخباره

أمّا ابتداء حاله، فكان من أبناء الدهاقين بطوس[4]، فزال ما كان لأبيه من مال، وملْك، وتوفّيت أمّه وهو رضيع، فكان أبوه يطوف به على المرضِعات فيرضِعْنَه حِسبةً، حتّى شبّ، وتعلّم العربيّة، وسِرُّ الله فيه يدعوه إلى علو الهمّة، والاشتغال بالعلم، فتفقّه، وصار فاضلاً، وسمع الحديث الكثير، ثم اشتغل بالأعمال السلطانيّة، ولم يزل الدهر يعلو به ويخفض[5] حَضَراً وسَفَراً.

وكان يطوف بلاد خُراسان، ووصل إلى غَزنة في صُحبة بعض المتصرّفين، ثمّ لزِم أبا عليّ بن شاذان متولّي الأمور ببَلَخ لداود والد السلطان ألب أرسلان، فحُسنت حاله معه، وظهرت كفايته وأمانته، وصار معروفاً عندهم بذلك، فلمّا حضرتْ أبا عليّ بن شاذان الوفاة أوصى الملك ألب أرسلان به، وعرّفه حاله، فولاّه شغْله، ثم

(١) في (أ): «بدت».
(٢) انظر عن مقتل نظام الملك في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ٢٣، ٢٤ وفيه مصادر هذا الخبر.
(٣) في (أ): «أمره».
(٤) في المنتظم: بناحية بيهق.
(٥) في (أ): «ينخفض».

صار وزيراً له إلى أن وليَ السلطنة بعد عمّه طُغْرُلبك، واستمرّ على الوزارة لأنّه ظهرت منه كفاية عظيمة، وآراء سديدة قادت[1] السلطنة إلى ألب أرسلان، فلمّا توفّي ألب أرسلان قام بأمر ابنه ملكشاه، وقد تقدّم ذِكر هذه الجُمَل مستوفًى مشروحاً.

وقيل إنّ ابتداء أمره (أنّه كان يكتب للأمير تاجر، صاحب بلْخ، وكان الأمير)[2] يصادره في رأس كلّ سنة، ويأخذ ما معه، ويقول له: قد سمنتَ يا حسن! ويدفع إليه فرساً ومقرعة ويقول: هذا يكفيك؛ فلمّا طال ذلك عليه أخفى ولديه فخر المُلك (ومؤيّد المُلك)[3]، وهرب إلى جغري بك داود، والد ألب أرسلان، فوقف فرسه في الطريق، فقال: اللّهم إني أسألك فرساً تخلّصني عليه! فسار غير بعيد، فلقيه تركمانيٌّ وتحته فرس جواد، فقال لنظام المُلك: انزل عن فرسك؛ فنزل عنه، فأخذه التركمانيُّ وأعطاه فرسه، فركبه وقال له: لا تنسني[4] يا حسن. قال نظام المُلك: فقَوِيَت نفسي بذلك، وعلمتُ أنّه ابتداء سعادة. فسار نظام المُلك إلى مرو، ودخل على داود، فلمّا رآه أخذ بيده، وسلّمه إلى ولده ألب أرسلان، وقال له: هذا حسن الطوسيُّ، فتسلّمْه، واتّخذْه والداً لا تخالفهُ.

وكان الأمير تاجر[5] لمّا سمع بهرب نظام المُلك سار في أثره إلى مرو، فقال لداود: هذا كاتبي ونائبي قد أخذ أموالي؛ فقال له داود: حديثك مع محمّد؛ يعني ألب أرسلان، (فكان اسمه محمّداً)[6]، فلم يتجاسر تاجر على خطابه، فتركه وعاد.

وأمّا أخباره، فإنّه كان عالماً، ديّناً، جواداً، عادلاً، حليماً، كثير الصفح عن المذنبين، طويل الصمت، كان مجلسه عامراً بالقرّاء، والفقهاء، وأئمّة المسلمين، وأهل الخير والصلاح، أمر ببناء المدارس في سائر الأمصار والبلاد، وأجرى لها الجرايات العظيمة، وأملى الحديث بالبلاد: ببغداذ وخُراسان وغيرهما، وكان يقول:

---

(١) في (أ): «فادت».

(٢) في (أ): «ابن شاذان كان».

(٣) من الباريسية.

(٤) في الأوربية: «تنساني».

(٥) في (أ): «ابن شاذان».

(٦) في الأوربية: «محمد»، وما بين القوسين من الباريسية.

إنّي لستُ من أهل هذا الشأن، لمَا تولاّه، ولكنّي أُحبّ أن أجعل نفسي على قِطار نَقَلَة حديث رسول الله، ﷺ.

وكان إذا سمع المؤذّن أمسك عن كلّ ما هو فيه وتجنّبه[١]، فإذا فرغ لا يبدأ بشيء قبل الصلاة، وكان، إذا غفل[٢] المؤذّن ودخل الوقت يأمره بالأذان، وهذا غاية حال المنقطعين إلى العبادة في حفظ الأوقات، ولزوم الصلوات.

وأسقط المكوس والضرائب، وأزال لعن الأشعريّة من المنابر، وكان الوزير عميد الملك الكُندُريُّ قد حسّن للسلطان طُغْرُلبك التقدّم[٣] بلعن الرافضة، فأمره بذلك، فأضاف إليهم الأشعريّة، ولعن الجميع، فلهذا فارق كثير من الأئمّة بلادهم، مثل إمام الحرمَيْن، وأبي القاسم القُشَيريّ، وغيرهما، فلمّا وليَ ألب أرسلان ألسلطنة أسقط نظام المُلك ذلك جميعه، وأعاد العلماء إلى أوطانهم.

وكان نظام المُلك إذا دخل عليه الإمام أبو القاسم القشيريُّ، والإمام أبو المعالي الجُوينيُّ، يقوم لهما، ويجلس في مسنده، كما هو، وإذا دخل أبو عليّ الفارمذيُّ يقوم (إليه، ويُجْلسه في مكانه)[٤]، ويجلس هو بين يدَيْه، فقيل له في ذلك، فقال: إنّ هذَيْن وأمثالهما[٥] إذا دخلوا عليّ[٦] يقولون لي: أنت كذا وكذا، يُثنون عليّ بما (ليس فيّ)[٧]، فيزيدني كلامهم عُجباً وتيهاً، وهذا الشيخ يذكر لي عيوب نفسي، وما أنا فيه من الظلم، فتنكسر نفسي لذلك، وأرجع عن كثير ممّا أنا فيه.

وقال نظام المُلك: كنتُ اتمنّى أن يكون لي قرية خالصة، ومسجد أتفرّد[٨] فيه لعبادة ربّي، ثم بعد ذلك تمنّيتُ أن يكون لي قطعة أرض أتقوّت بريعها، (ومسجد

---

(١) المنتظم ١٦/٣٠٣.
(٢) في الأوروبية: «أغفل».
(٣) في (أ): «التقرير».
(٤) في (أ): «عن مجلسه».
(٥) في (أ): «ويقول».
(٦) زاد في (أ): «أولئك».
(٧) في (أ): «يسرني».
(٨) في (أ): «انفرد».

أعبد الله فيه)[١]، وأمّا الآن فأنا أتمنّى أن يكون لي رغيف كلّ يوم، ومسجد أعبد الله فيه.

وقيل: كان ليلة يأكل الطعام، وبجانبه أخوه أبوالقاسم، وبالجانب الآخر عميد خُراسان، وإلى جانب العميد إنسان فقير، مقطوع اليد، فنظر نظام المُلك، فرأى العميد يتجنّب الأكل مع المقطوع، فأمره بالانتقال إلى الجانب الآخر، وقرّب المقطوع إليه[٢] فأكل معه.

وكانت عادته أن يحضر الفقراء طعامه، ويقرّبهم إليه، ويُدنيهم. وأخباره مشهورة كثيرة، قد جُمعتْ لها المجاميع السائرة في البلاد[٣].

ذكر وفاة السلطان وذكر بعض سيرته

سار السلطان ملكشاه، بعد قتل نظام المُلك، إلى بغداذ، ودخلها في الرابع والعشرين من شهر رمضان، ولقيه وزير الخليفة عميد الدولة بن جَهِير، وظهرت من تاج المُلك كفاية عظيمة، وكان السلطان قد أمر أن تفصّل خِلَعُ الوزارة لتاج المُلك، وكان هو الذي سعى بنظام المُلك، فلمّا فرغ من الخِلع، ولم يبق غير لبسها والجلوس في الدَّسْت، اتفّق أنّ السلطان خرج إلى الصيد، وعاد ثالث شوّال مريضاً، وأنشب الموت أظفاره فيه، ولم يمنع عنه سَعَة ملكه، وكثرة عساكره.

وكان سبب مرضه أنّه أكل لحم صيد فحُمّ وافتصد، ولم يستوف إخراج الدم، فثقُل مرضه، وكانت حُمّى محرقة، فتوفّي ليلة الجمعة، النصف من شوّال[٤].

ولمّا ثَقُل نقل أرباب دولته أموالهم إلى حريم دار الخلافة، ولمّا توفّي سترت زوجته تركان خاتون المعروفة بخاتون الجلالية موته وكتمتْهُ، وأعادتْ جعفراً[٥] ابن

---

(١) من الباريسية.

(٢) في الأوربية: «اليد».

(٣) انظر أخبار نظام الملك في المصادر الكثيرة التي حشدتها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٤٢ ـ ١٤٨ رقم ١٤١.

(٤) انظر خبر وفاة السلطان في تاريخ الإسلام ٢٣ وفيه مصادره.

(٥) في الأوربية: «جعفر».

الخليفة من ابنة السلطان إلى أبيه المقتدي بأمر الله، وسارت من بغداذ والسلطان معها محمولاً، وبذلت الأموال للأمراء سِرّاً، واستحلفتهم لابنها محمود، وكان تاج المُلك يتولّى ذلك لها، وأرسلت قِوام الدولة كربُوقا الذي صار صاحب الموصل إلى أصبهان بخاتم السلطان، فاستنزل مستحفظ القلعة، وتسلّمها، وأظهر أنّ السلطان أمره بذلك، ولم يُسمع بسلطان مثله لم يُصَلّ عليه أحدٌ، ولم يُلْطَمْ عليه وجهٌ.

وكان مولده سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة، وكان من أحسن الناس صورةً ومعنى، وخُطب له من حدود الصينِ إلى آخر الشام، ومن أقاصي بلاد الإسلام في الشمال إلى آخر بلاد اليمن، وحمل إليه ملوك الروم الجزية، ولم يَفُتْه مطلبٌ، وانقضت أيّامه على أمن عامٍ، وسكون شامل، وعدل مُطّردٍ.

ومن أفعاله أنّه لمّا خرج عليه أخوه تكش بخُراسان اجتاز بمشهد عليّ بن موسى الرِّضا بطُوس، فزاره، فلمّا خرج قال لنظام المُلك: بأيّ شيء دعوتَ؟ قال: دعوتُ الله أن ينصرك[1]؛ فقال: أمّا أنا فلم أدعُ بهذا بل قلتُ: اللّهم انصر أصلحَنا للمسلمين، وأنفعنا للرعيّة.

وحُكي عنه أنّ سوادياً لقيه وهو يبكي، فاستغاث به، وقال: كنتُ ابتعتُ بِطّيخاً بدُريهمات لا أملك سواها، فغلبني عليه ثلاثة نفر من الأتراك، فأخذوه منّي. فقال السلطان له: اقعد! ثم أحضر فرّاشاً وقال: قد اشتهيتُ بِطّيخاً؛ وكان ذلك عند أوّل استوائه، وأمره بطلبه من العسكر، فغاب ثم عاد ومعه البِطّيخ، فأمره بإحضار من وجده عنده، فأحضره، فسأله السلطان من أين له ذَلك البِطّيخ؟ فقال: غلماني جاؤوني به؛ فأمر أن يجيء بهم إليهم، فمضى، وأمرهم بالهرب، وعاد فقال: لم أجدهم؛ فقال للسواديّ: خذ[2] مملوكي هذا قد وهبتُه لك عِوضاً عن بِطّيخك، ويُحضر الذين أخذوه، والله لئن أطلقتَه لأضربنّ عنقك. فأخذه السواديُّ، فاشترى الغلام نفسه منه بثلاثمائة دينار، فعاد السواديُّ إلى السلطان، وقال: قد بعتُه نفسَه بثلاثمائة دينار[3]؛ فقال: أرضِيتَ بذلك؟ قال: نعم! قال: امض مصاحَباً.

---

(١) في (أ): «ينصرنا».
(٢) من (أ).
(٣) من (أ).

وقال عبد السميع بن داود العبّاسيُّ: شاهدتُ ملكشاه وقد أتاه رجلان من أرض العراق السُّفلى، من قرية الحدّاديّة، يُعرفان بابنَيْ غزّال، فلقياه، فوقف لهما، فقالا: إنّ مُقطِعنا الأمير خُمارتِكِين قد صادرَنا بألف وستّمائة دينار، وقد كسر ثنيّتَيْ أحدنا[١]، وأراهما السلطان، وقد قصدناك[٢] لتقتصّ لنا منه، فإن أخذتَ بحقّنا كما أوجب الله عليك، وإلاّ فالله يحكم بيننا.

قال فرأيتُ السلطان وقد نزل عن دابّته وقال: ليمسك كلّ واحد منكما بطرف كُميّ، واسحباني إلى خواجه حسن، يعني نظام المُلك؛ فامتنعا من ذلك، واعتذرا، فأقسم عليهما إلاّ فعلا، فأخذ كلُّ واحد منهما بكمّ من كُمَّيه[٣] ومشى معهما إلى نظام المُلك، فبلغه الخبر، فخرج مسرعاً، فلقيه وقبّل الأرض، وقال: يا سلطان العالم! ما حملك على هذا؟ فقال: كيف يكون حالي غداً عند الله إذا طولبتُ بحقوق المسلمين، وقد قلّدتُك هذا الأمر لتكفيني مثل هذا الموقف، فإن نال الرعيّة أذًى فأنت المطالب، فانظر لي ولنفسك.

فقبّل الأرض، ومشى في خدمته، وعاد من وقته، وكتب بعزل الأمير خُمارتكين عن إقطاعه، وردّ المال عليهما، وأعطاهما مائة دينار من عنده، وأمرهما بإثبات البيّنة أنّه قلع ثنيّتيه ليقلع ثنيّتيه[٤] عِوضهما، فرضيا وانصرفا.

وقيل إنّه ورد بغداذ ثلاث دفعات، فخافه الناس من غلاء الأسعار، وتعدّي الجُند، فكانت الأسعار أرخص منها قبل قدومه، وكان الناس يخترقون عساكره ليلاً ونهاراً، فلا يخافون[٥] أحداً، ولم يتعدّ عليهم أحدٌ، وأسقط المكوس والمُؤن من جميع البلاد، وعمر الطرق، والقناطر، والرُّبُط التي في المفاوز، وحفر الأنهار الخراب، وعمر الجامع ببغداذ، وعمل المصانع بطريق مكّة، وبنى[٦] البلد بأصبهان،

---

(١) في (أ): «أميرنا».
(٢) في (أ): «أتيناك».
(٣) في (أ): «أكمامه».
(٤) في الأوربية: «ثنيتاه».
(٥) في (أ): «يخالفون».
(٦) في الأوربية: «وبنا».

وبنى منارة القرون بالسُّبيعي[١] بطريق مكّة، وبنى مثلها بما وراء النهر.

واصطاد مرّة صيداً كثيراً، فأمر بعدّه، فكان عشرة آلاف رأس، فأمر بصدقة عشرة آلاف دينار، وقال: إنّني خائف من الله تعالى كيف أزهقتُ أرواح هذه الحيوانات بغير ضرورة ولا مأكلة؛ وفرّق من الثياب والأموال بين أصحابه ما لا يُحصى، وصار بعد ذلك كلّما صاد شيئاً تصدّق بعدده دنانير، وهذا فِعْل من يحاسب نفسه على حركاته وسكناته، وقد أكثر الشعراء مراثيه أيضاً.

وقيل إنّ بعض أمراء السلطان كان نازلاً بهَراة مع بعض العلماء اسمه عبد الرحمن في داره، فقال يوماً ذلك الأمير للسلطان، وهو سكران: إنّ عبد الرحمن يشرب الخمر، ويعبد الأصنام من دون الله تعالى، ويحلّل الحرام؛ فلم يُجِبه ملكشاه، فلمّا كان الغد صحا ذلك الأمير، فأخذ السلطان السيفَ، وقال له: اصدِقْني عن فلان، وإلاّ قتلتُك! فطلب منه الأمان، فأمّنه، فقال: إنّ عبد الرحمن له دار حسناء، وزوجة جميلة، فأردتُ أن تقتله فأفوز بداره وزوجته؛ فأبعده السلطان، وشكر الله تعالى على التوقّف عن قبول سعايته، وتصدّق بأموال جليلة المقدار[٢].

ذكر ملك ابنه الملك محمود وما كان من حال ابنه الأكبر بركيارُق إلى أن ملك

لمّا مات السلطان ملكشاه كتمتْ زوجته تركان خاتون موته، كما ذكرناه، وأرسلتْ إلى الأمراء سِرّاً فأرضتْهم، واستحلفتْهم لولدها محمود، وعمره أربع سنين وشهور، وأرسلتْ إلى الخليفة المقتدي في الخطبة لولدها أيضاً، فأجابها، وشرط أن يكون اسم السلطنة لولدها، والخطبة له، ويكون (المدبّر لزعامة)[٣] الجيوش، ورعاية[٤] البلد، هو الأمير أُنَر[٥]، ويصدر عن رأي تاج الملك، ويكون ترتيب

---

(١) من الباريسية.

(٢) انظر ترجمة السلطان ملكشاه في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٦٢ ـ ١٦٥ رقم ١٦٦ وفيه حشدت مصادر كثيرة عنه.

(٣) في (أ): «الرعاية».

(٤) في (أ): «ورعايا».

(٥) في (أ): «أنز»، ويرد هكذا في بعض المصادر، بالزاي.

العمّال، وجباية الأموال إلى تاج الملك أيضاً، وكان تاج الملك هو الذي يدبّر الأمر بين يدَيْ خاتون.

فلمّا جاءت رسالة الخليفة إلى خاتون بذلك امتنعت من قبوله، فقيل لها: إنّ ولدك صغير، ولا يجيز الشرع ولايته؛ وكان المخاطب لها في ذلك الغزاليّ، فأذعنتْ له، وأجابت إليه، فخُطب لولدها، ولُقّب ناصر الدنيا والدين، وكانت الخطبة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوّال من السنة، وخُطب له بالحرمَيْن الشريفَيْن. .

ولمّا مات السلطان ملكشاه أرسلتْ تركان خاتون إلى أصبهان في القبض على بَرْكْيارُق ابن السلطان، وهو أكبر أولاده، خافته أن ينازع ولدها في السلطنة، فقُبض عليه، فلمّا ظهر موت ملكشاه وثب المماليك النظاميّة على سلاح كان لنظام المُلك بأصبهان، فأخذوه وثاروا في البلد، وأخرجوا بركيارُق من الحبس، وخطبوا له بأصبهان وملّكوه، وكانت والدة بركيارُق زُبَيدة ابنة ياقوتي بن داود، وهي ابنة عمّ ملكشاه، خائفة على ولدها من خاتون أمّ محمود، فأتاها الفرج بالمماليك النظاميّة.

وسارت تركان خاتون من بغداذ إلى أصبهان، فطالب العسكر تاج الملك بالأموال، فوعدهم، فلمّا وصلوا إلى قلعة برجين[1] صعد إليها ليُنزل الأموال منها، فلمّا استقرّ فيها عصى على خاتون، ولم ينزل خوفاً من العسكر، فساروا عنه، ونهبوا خزائنه، فَلَم يجدوا بها شيئاً، فإنّه[2] كان قد علم ما جرى، فاستظهر وأخفاه.

ولمّا وصلتْ تركان خاتون إلى أصبهان لحِقها تاج المُلك، واعتذر بأن مستحفظ القلعة حبسه، وأنّه هرب منه إليها، فقبِلت عُذره.

وأمّا بَرْكْيارُق فإنّه لمّا قاربت خاتون وابنها محمود أصبهان خرج منها هو ومن معه من النظامية، وساروا نحو الرَّيّ، فلقيهم أرغش النظاميُّ في عساكره، ومعه جماعة من الأمراء، وصاروا يداً واحدةً، وإنّما حمل النظاميّة على الميل إلى بَرْكْيارُق كراهتهم لتاج المُلك لأنّه كان عدوّ نظام المُلك، والمتّهَم بقتله، فلمّا اجتمعوا حصروا قلعة طَبَرَك وأخذوها عَنوةً، فسيّرت خاتون العساكر إلى قتال بَرْكْيارُق، فالتقى العسكران

(١) في الأصل: «برحين».
(٢) في (أ): «لأنه».

بالقرب من بَرُوجِرد، فانحاز جماعة من الأمراء الذين في عسكر خاتون إلى بَرْكْيارُق، منهم: الأمير يلبرد، وكمشتِكِين الجاندار، وغيرهما، فقوي بهم، وجرت الحرب بينهم أواخر ذي الحجّة، واشتدّ القتال، فانهزم عسكر خاتون وعادوا إلى أصبهان، وسار بركيارق في أثرهم فحصرهم بأصبهان[1].

ذكر قتل تاج المُلك

كان تاج المُلك مع عسكر خاتون، وشهد الوقعة، فهرب إلى نواحي بَرُوجِرد، فأُخذ وحُمل إلى عسكر بَرْكْيارُق، وهو يحاصر أصبهان، وكان يعرف كفايته، فأراد أن يستوزره، فشرع تاج المُلك في إصلاح كبار النظاميّة، وفرّق فيهم مائتَيْ ألف دينار سوى العروض، فزال ما في قلوبهم.

فلمّا بلغ عثمانَ نائب نظام المُلك الخبرُ ساءه، فوضع الغلمانَ الأصاغر على الاستغاثة، وأن لا يقنعوا إلاّ بقتل قاتل صاحبهم، ففعلوا، فانفسخ ما دبّره تاج المُلك، وهجم النظاميّة عليه فقتلوه، وفصّلوه أجزاء. وكان قتله في المحرّم سنة ستٍّ وثمانين [وأربعمائة]، وحُملت إلى بغداذ إحدى أصابعه.

وكان كثير الفضائل، جمّ المناقب، وإنّما غطّى[2] جميعَ محاسنه مُمالأتُهُ على قتل نظام المُلك، وهو الذي بنى[3] تربة الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ[4]، وعمل المدرسة التي إلى جانبها، ورتّب بها الشيخ أبا بكر الشاشيَّ، وكان عمره حين قُتل سبعاً[5] وأربعين سنة[6].

---

(١) من (أ). والخبر في زبدة التواريخ ١٥٧، وتاريخ حلب ٣٥٦ (٢٢)، وتاريخ دولة آل سلجوق ٨١، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٦، وتاريخ الإسلام ٢٥، ٢٦، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٩.

(٢) في الأوربية: «غطّا».

(٣) في الأوربية: «بنا».

(٤) من الباريسية.

(٥) في الأوربية: «سبع».

(٦) انظر خبر مقتل تاج الملك في: المنتظم (٩/ ٦٣/ ١٦/ ٣٠١)، ونهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٧، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام ٢٦، ٢٧، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٦، وتاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٩ و ٥/ ١٤.

ذكر ما فعله العرب بالحُجّاج والكوفة

سار الحُجّاج هذه السنة من بغداذ، فقدِموا الكوفة، ورحلوا منها، فخرجت عليهم خَفَاجة، وقد طمعوا بموت السلطان، وبُعْدِ العسكر، فأوقعوا بهم، وقتلوت أكثر الجند الذين معهم، وانهزم باقيهم، ونهبوا الحجّاج، وقصدوا الكوفة فدخلوها، وأغاروا عليها، وقتلوا في أهلها، فرماهم الناس بالنُّشّاب، فخرجوا بعد أن نهبوا، وأخذوا ثياب من لقوه من الرجال والنساء، فوصل الخبر إلى بغداذ، فسُيّرت العساكر منها، فلمّا سمع بهم بنو خَفَاجة انهزموا، فأدركهم العسكر، فقُتل منهم خلق كثير، ونُهبت أموالهم، وضعُفت خَفَاجة بعد هذه الوقعة[1].

ذكر عدّة حوادث

فيها، في ربيع الأوّل، عاد السلطان من بغداذ إلى أصبهان، وأخذ معه الأمير أبا الفضل جعفر ابن الخليفة المقتدي بأمر الله من ابنة السلطان، وتفرق الأمراء إلى بلادهم، (ثم عاد إلى بغداذ، فتوفّي كما ذكرناه)[2].

وفيها، في جمادى الأولى، احترق نهر المعلّى، فاحترق عقد الحديد إلى خربة الهرّاس[3]، إلى باب[4] دار الضرب، واحترق سوق الصاغة والصيارف، والمخلّطين، والريحانيّين، وكان الخريف من الظُّهر إلى العصر، فاحترق منها الأمر العظيم في الزمان القليل، واحترق من الناس خلق كثير، ثم ركب عميد الدولة بن جَهيرٍ، وزير الخليفة، وجمع السقّائين، ولم يزل راكباً حتّى طفئت النار[5].

---

(١) تاريخ حلب ٣٥٦ (٢٣)، المنتظم ٩/٦٣ (١٦/٣٠١)، العبر في خبر من غبر ٣/٣٠٧، تاريخ الإسلام ٢٧، دول الإسلام ٢/١٤، سير أعلام النبلاء ١٨/٣٢٢، مرآة الجنان ٣/١٣٥، البداية والنهاية ١٢/١٣٩.

(٢) من الباريسية.

(٣) في (أ): «خزانة المتراس».

(٤) من (أ).

(٥) المنتظم ٩/٦١ (١٦/٢٩٩)، تاريخ الإسلام ٢٧، البداية والنهاية ١٢/١٣٩.

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة توفّي عبد الباقي بن محمّد بن الحسين بن ناقيا(١) الشاعر البغداذيُّ، سمع الحديث، وكان يُتّهم بأنّه يطعن على الشرائع، فلمّا مات كانت يده مقبوضة، فلم يُطِق الغاسل فتحها، فبعد جهدٍ فُتحتْ فإذا فيها مكتوب:

نــزلــتُ بجــارٍ لا يخيّــبُ ضَيْفَــهُ، أُرَجّـي نجـاتـي مـن عَـذَابِ جَهَنّـمِ
وإنّـي علـى خـوفـي مـن الله واثـقٌ بـإنعـامـه، واللهُ أكـرمُ مُنْعِـمِ(٢)

وفيها توفّي هبة الله بن عبد الوارث(٣) بن عليّ بن أحمد أبو القاسم الشيرازيُّ الحافظ، أحد الرحّالين في طلب الحديث شرقاً وغرباً، وقدِم الموصل من العراق، وهو الذي أظهر سماع «الجعديّات» لأبي محمّد الصّريفِينيّ، ولم يكن يُعرف ذلك(٤).

---

(١) في (أ): «باقيا»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر ترجمته التي ذكرتها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٥٠ رقم.١٤٦.

(٢) البيتان في: المنتظم والبداية والنهاية.

(٣) انظر عن (هبة الله بن عبد الوارث) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ) ص ١٦٥ ـ ١٦٧ رقم ١٦٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) من (أ).

٤٨٦
ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة

ذكر وزارة عزّ المُلك بن نظام المُلك لبَرْكيارُق

كان عزّ المُلك أبو عبدالله الحسين بن نظام المُلك مقيماً بخُوارزم، حاكماً فيها وفي كلّ ما يتعلّق بها؛ إليه المرجع في كلّ أمورها السلطانية، فلمّا كان قبل أن يُقتَل أبوه حضر عنده خدمةً له وللسلطان، فقُتل أبوه، ومات السلطان، فأقام بأصبهان إلى الآن.

فلمّا حصرها بَرْكيارُق، وكان أكثر[1] عسكره النظاميّة، خرج من أصبهان هو وغيره من إخوته، فلمّا اتّصل ببركيارُق احترمه، وأكرمه، وفوّض أمور دولته إليه، وجعله وزيراً له[2].

ذكر حال تُتُش بن ألب أرسلان

كان تُتُش بن ألب أرسلان صاحب دمشق وما جاورها من بلاد الشام، فلمّا كان قبل موت أخيه السلطان ملكشاه، سار من دمشق إليه ببغداذ، فلمّا كان بِهَيْتَ بلغه موته، فأخذ هيتَ، واستولى عليها، وعاد إلى دمشق يتجهّز لطلب السلطنة، فجمع العساكر، وأخرج الأموال وسار نحو حلب، وبها قسيم الدولة آقسنقُرَ، فرأى قسيم الدولة اختلاف أولاد صاحبه ملكشاه، وصِغَرهم، فعلم أنّه لا يطيق دفع تُتُش،

---

(١) في (أ): «عظم».

(٢) نهاية الأرب ٢٦/٣٣٧، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٣، تاريخ الإسلام ٢٩، تاريخ ابن الوردي ٢/٦، تاريخ ابن خلدون ٣/٤٧٩.

فصالحه، وصار معه، وأرسل إلى باغي سيان[1]، صاحب أنطاكية، وإلى بوزان، صاحب الرُّها وحرّان، يشير عليهما بطاعة تاج الدولة تُتُش حتّى يروَا ما يكون من أولاد ملكشاه، ففعلوا، وصاروا معه، وخطبوا له في بلادهم، وقصدوا الرحبة، فحصروها، وملكوها في المحرّم من هذه السنة، وخطب لنفسه بالسلطنة.

ثم ساروا إلى نَصِيبين، فحصروها، فسبّ أهلُها تاج الدولة، ففتحها عَنوةً وقهراً، وقتل من أهلها خلقاً كثيراً، ونُهبت الأموال، وفعل فيها الأفعال القبيحة، ثم سلّمها إلى الأمير محمّد بن شرف الدولة العُقَيليّ، وسار يريد الموصل، وأتاه الكافي بن فخر الدولة بن جَهِير، وكان في جزيرة ابن عمر، فأكرمه، واستوزره[2].

ذكر وقعة المُضَيَّع وأخذ الموصل من العرب

كان إبراهيم بن قُريش بن بدران، أمير بني عُقَيْل، قد استدعاه السلطان ملكشاه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة ليحاسبه، فلمّا حضر عنده اعتقله، وأنفذ فخر الدولة بن جَهِير إلى البلاد، فملك الموصل وغيرها، وبقي إبراهيم مع مِلكشاه، وسار معه إلى سَمَرْقَنْد، وعاد إلى بغداذ، فلمّا مات ملكشاه أطلقتْه تركان خاتون من الاعتقال، فسار إلى الموصل.

وكان ملكشاه قد أقطع عمّته صفيّةَ مدينة بَلَد، وكانت زوجة شرف الدولة، ولها منه ابنها عليّ، وكانت قد تزوّجت بعد شرف الدولة بأخيه إبراهيم، فلمّا مات ملكشاه قصدت الموصل، ومعها ابنها عليّ، فقصدها محمّد بن شرف الدولة، وأراد أخذ الموصل، فافترقت العرب فرقتَيْن: فرقة معه، وأخرى مع صفيّة وابنها عليّ، واقتتلوا بالموصل عند الكُناسة، فظفر عليٌّ، وانهزم محمّد، وملك عليٌّ الموصل.

فلمّا وصل إبراهيم إلى جُهَيْنَة، وبينه وبين الموصل أربعة فراسخ، سمع أنّ

---

(١) في هامش الباريسية: «يا غبسان».

(٢) تاريخ الزمان ١٢١، المنتظم ٩/ ٧٧ (١٧/ ٥)، التاريخ الباهر ١٢، الفخري ٢٩٦، ٢٩٧، تاريخ الفارقي ٢٣٦، مفرّج الكروب ١/ ٢٣، الدرّة المضية ٤٣٢، ٤٣٣، نهاية الأرب ٢٧/ ٦٨، تاريخ الإسلام ٢٩، ٣٠، العبر ٣/ ٣١٠، دول الإسلام ٢/ ١٤، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٤، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٠ و ٥/ ١٤.

الأمير عليّاً[1] ابن أخيه شرف الدولة قد ملكها، ومعه أمّه صفيّة، عمّة ملكشاه، فأقام مكانه، وراسل صفيّة خاتون، وتردّدت الرسل، فسلّمت البلد إليه، فأقام به.

فلمّا ملك تُتُش نَصِيبين أرسل إليه يأمره أن يخطب له بالسلطنة، ويُعطيه طريقاً إلى بغداذ لينحدر، ويطلب الخطبة بالسلطنة، فامتنع إبراهيم من ذلك، فسار تُتُش إليه، وتقدّم إبراهيم أيضاً نحوه، فالتقوا بالمُضَيَّع، من أعمال الموصل، في ربيع الأوّل، وكان إبراهيم في ثلاثين ألفاً، وكان تُتُش في عشرة آلاف، وكان آقسَنْقَر على ميمنته، وبوزان على ميسرته، فحمل العرب على بوزان، فانهزم[2]، وحمل آقسنقَر على العرب فهزمهم، وتمّت الهزيمة على إبراهيم والعرب، وأُخذ إبراهيم أسيراً وجماعة من أمراء العرب، فقُتلوا صبراً، ونُهبت أموال العرب وما معهم من الإبل والغنم والخيل وغير ذلك، وقَتل كثيرٌ من نساء العرب أنفسهنّ خوفاً من السبي والفضيحة.

وملك تُتُش بلادهم الموصل وغيرها، واستناب بها عليّ بن شرف الدولة مسلم، وأمّه صفيّة عمّة تُتُش، وأرسل إلى بغداذ يطلب الخطبة، وساعده كوهرائين على ذلك، فقيل لرسوله: إنّا ننتظر[3] وصول الرسل من العسكر؛ فعاد إلى تُتُش بالجواب[4].

ذكر ملك تُتُش ديار بكر وأذربيجان وعوده إلى الشام

فلمّا فرغ تاج الدولة تُتُش من أمر العرب، ومُلْك الموصل وغيرها من بلادهم، سار إلى ديار بكر في ربيع الآخر، فملك ميّافارقين وسائر ديار بكر من ابن مروان، وسار منها إلى أذربيجان. فانتهى خبره إلى ابن أخيه ركن الدين بَرْكْيارُق، وكان قد استولى على كثير من البلاد، منها: الرَّيّ، وهَمَذان، وما بينهما، فلمّا تحقّق الحال سار في عساكره ليمنع عمّهُ عن البلاد، فلمّا تقارب العسكران قال قسيم الدولة آقسنقَر

---

(١) في الأوربية: عليّ.
(٢) من (أ).
(٣) في الأوربية: «انتظر».
(٤) تاريخ الإسلام ٣٠، تاريخ ابن الوردي ٢/٦، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٨٠، ٤٨١، تاريخ الفارقي ٢٣٣، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٤، العبر ٣/ ٣١٠، دول الإسلام ٢/ ١٤، مرآة الجنان ٣/ ١٤٢.

لبوزان[1]: إنّما أطعنا هذا الرجل لننظر ما يكون من أولاد صاحبنا، والآن فقد ظهر ابنه، ونريد أن تكون معه. فاتّفقا على ذلك وفارقا تُتُش، وصارا مع بَرْكْيارُق.

فلمّا رأى تاج الدولة تُتُش ذلك علم أنّه لا قوّة له بهم، فعاد إلى الشام، واستقامت البلاد لَبركْيارَق، فلمّا قوي أمره سار كوهرائين (إلى العسكر)[2] يعتذر من مساعدته لتاج الدولة (تُتُش، وأعانه برسق)[3]، وتعصّب عليه كمشتِكِين الجاندار، فأُخذ إقطاعه، وأُعطي الأمير يلبرد زيادةً، ووليَ شِحنكيّة بغداذ عِوض كوهرائين، وتفرّق عن كوهرائين أصحابه[4]، فكان ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر حصر عسكر مصر صور وملكهم لها

في هذه السنة، في جُمادى الآخرة، ملك عسكر المستنصر بالله العلويّ، صاحب مصر، مدينة صور.

وسبب ذلك ما ذكرناه سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة: إنّ أمير الجيوش بدراً، وزير المستنصر، سيّر العساكر إلى مدينة صور، وغيرها، من ساحل الشام، وكان مَن بها قد امتنع من طاعتهم، فملكها، وقرّر[5] أمورها، وجعل فيها الأمراء.

وكان قد ولّى[6] مدينة صور[7] الأمير الذي يُعرف بمُنير الدولة الجيوشيّ، فعصى على المستنصر وأمير الجيوش، وامتنع بصور، فسُيّرت العساكر من مصر إليه، وكان أهل صور قد أنكروا على منير الدولة عصيانه على سلطانه، فلمّا وصل العسكر

---

(١) من (أ).
(٢) من (أ).
(٣) من (أ).
(٤) تاريخ حلب ٣٥٦ (٢٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٤، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٢٩، نهاية الأرب ٢٨/ ٢٣٩، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٤، دول الإسلام ٢/ ١٤، تاريخ الإسلام ٣١، الدرّة المضيّة ٤٣٨، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٥، إتعاظ الحنفا ٢/ ٣٢٨، النجوم الزاهرة ٥/ ١٣٨.
(٥) في (أ): «ودبر».
(٦) في (أ): «سلم».
(٧) في (أ) زيادة: «إلى».

المصريُّ إلى صور وحصروها وقاتلوها ثار أهلها، ونادوا بشعار المستنصر وأمير الجيوش، وسلّموا البلد، وهجم العسكر المصري بغير مانع ولا مدافع، ونُهب من البلد شيء كثير، وأُسر منير الدولة ومَن معه من أصحابه، وحُملوا إلى مصر، وقُطع على أهل البلد ستّون ألف دينار، فأجحفت بهم.

ولمّا وصل منير الدولة إلى مصر ومعه الأسرى قُتلوا جميعهم ولم يُعفَ عن واحد منهم(١).

ذكر قتل إسماعيل(٢) بن ياقوتي خال بركيارُق

في هذه السنة، في شعبان، قُتل إسماعيل بن ياقوتي بن داود، وهو خال بَرْكْيارُق، وابن عمّ ملكشاه.

وسبب قتله أنّه كان بأَذَرْبَيْجان أميراً عليها، فأرسلت إليه تركان خاتون، زوجة ملكشاه، تُطمعه أن تتزوّج به، وتدعوه إلى محاربة بَرْكْيارق، فأجابها إلى ذلك، وجمع خلقاً كثيراً من التركمان وغيرهم، وصار أصحاب سرهنك ساوتِكين في خيله، وأرسلت إليه تركان خاتون كربوقا، وغيره من الأمراء، في عسكر كثير مدداً له، فجمع برْكْيارق عساكره، وسار إلى حرب خاله إسماعيل، فالتقوا عند الكَرَج(٣)، فانحاز الأمير يلبرد إلى برْكْيارق، وصار معه، فانهزم إسماعيل وعسكره، وتوجّه إلى أصبهان، فأكرمتْه تركان خاتون، وخطبت له، وضربت اسمه على الدينار بعد ابنها محمود بن ملكشاه.

وكاد الأمر في الوصلة يتمّ بينهما، فامتنع الأمراء من ذلك لا سيّما الأمير أُنَر(٤)،

(١) تاريخ حلب ٣٥٦ (٢٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٤، ١٢٥، الأعلاق الخطيرة ٢/١٦٦، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/٢٩، الدرّة المضية ٤٣٨، تاريخ الإسلام ٣١، نهاية الأرب ٢٨/٢٣٩، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٤، دول الاسلام ٢/١٤، البداية والنهاية ١٢/١٤٥، إتعاظ الحنفا ٢/٣٢٨، النجوم الزاهرة ٥/١٣٨، وانظر كتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٣٩ ـ ١٤١.

(٢) في الأوربية: «إسمايل».

(٣) في (أ): «كرج».

(٤) في (أ): «أنز».

وهو مدبّر الأمر، وصاحب الجيش، وآثروا[1] خروج إسماعيل عنهم، وخافوه، وخاف هو أيضاً منهم، ففارقهم، وراسل أخته زُبيدة والدة بركْيارُق في اللحاق بهم، فأذنتْ له في ذلك، فوصل إليهم، وأقام عندهم أيّاماً يسيرة، فخلا به كمشتِكِين الجاندار، وآقسنقَر، وبوزان، وبسطوه في القول، فأطلعهم على سرّه، وأنّه يريد السلطنة، وقتْلَ بركْيارُق، فوثبوا عليه فقتلوه، وأعلموا أخته خبره[2] فسكتت عنه.

ذكر أخذ الحُجّاج

في هذه السنة انقطع الحجّ من العراق لأسباب أوجبت ذلك، وسار الحاجّ من دمشق مع أميرٍ أقامه تاج الدولة تُتُش صاحبها، فلمّا قضوا حجّهم وعادوا سائرين[3] سيّر أمير مكّة، وهو محمّد بن أبي هاشم، عسكراً فلحقوهم بالقرب من مكّة، ونهبوا كثيراً من أموالهم وجِمالهم، فعادوا إليها، ولقوه، وسألوه أن يُعيد عليهم ما أخذ منهم، وشكوا إليه بُعْدَ ديارهم، فأعاد بعض ما أخذ منهم، فلمّا أيِسوا منه ساروا من مكّة عائدين على أقبح صورة، فلمّا أبعدوا عنها ظهر عليهم جموع من العرب في عدّة جهات، فصانعوهم على مالٍ أخذوه من الحاجّ، بعد أن قُتل منهم جماعة وافرة، وهلك فيه [كثيرون] بالضعف والانقطاع، وعاد السالم على أقبح صورة[4].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في جُمادى الأولى، قدِم إلى بغداذ أردشيرين بن منصور أبو الحسين الواعظ، العبّاديُّ، وأكثر الوعظ بالمدرسة النظاميّة، وهو مَرْوَزيّ، وقدِم بغداذ قاصداً للحجّ، وكان له قبول عظيم، بحيث أنّ الغزاليّ وغيره من الأئمّة ومشايخ الصوفيّة الكبار يحضرون مجلسه، وذُرع في بعض المجالس الأرض التي فيها الرجال،

---

(١) في (أ): «وابدا».

(٢) في الأوربية: «أخبره».

(٣) من (أ).

(٤) تاريخ حلب ٣٥٦ (٢٣)، ذيل تاريخ دمشق ١٢٥، العبر ٣/٣١١، تاريخ الإسلام ٣١، مرآة الجنان ٣/١٤٢، مآثر الإنافة ٢/٦، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/٣٦٤، النجوم الزاهرة ٥/١٣٨.

فكان طولها مائة وخمسة وسبعين[1] ذراعاً، وعرضها مائة وعشرين[2] ذراعاً، وكانوا يزدحمون ازدحاماً كثيراً، وكان النساء أكثر من ذلك، وكان له كرامات ظاهرة، وعبادات كثيرة.

وكان سبب منعه من الوعظ أنّه نهى أن يتعامل الناس ببيع القراضة بالصحيح، وقال هو ربا، فمُنع من الوعظ، وأُخرج من البلد.

وفيها وقعت الفتنة ببغداذ بين العامّة، وقصد كلّ فريق الفريق الآخر، وقطعوا الطرقات بالجانب الغربيّ، وقتل أهل النصرية مُصلحيّاً، فأرسل كوهرائين فأحرقها، واتّصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة، وكان للعميد الأغرّ أبي المحاسن الدِّهِستانيّ في إطفاء هذه الفتنة أثر حسن[3].

وفيها، في شعبان، سار سيف الدولة صدقة بن مَزْيد إلى السلطان بركْيارُق، فلقيه بنَصِيبين، وسار معه إلى بغداذ، فوصلها في ذي القعدة ومعه وزيره عزّ الملك بن نظام المُلك، وخرج عميد الدولة والناس إلى لقائه من عَقْرَقُوف[4].

وفيها وُلد للمستظهر بالله ولد سُمّي الفضل، وكُني أبا منصور، ولُقّب عُمدة الدين، وهو المسترشد بالله.

وفيها، في رمضان، قُتل الأمير يلبرد، قتله بركْيارُق، وكان من الأمراء الكبار مع أبيه، فزاده بركْيارق إقطاع كوهرائين، وشِحنكيّة بغداذ، فلمّا وصل إلى دَقُوقَا أُعيد منها لأنّه تكلم، فيما يتعلّق بوالدة السلطان بركْيارُق، بكلام شنيع، فلمّا وصل إليه أصبح مقتولاً.

[الوفيات]

وفيها، (في المحرّم)[5]، توفّي عليُّ بن أحمد بن يوسف أبو الحسن القُرَشيُّ،

---

(١) في الأوربية: «وسبعون».
(٢) في الأوربية: «وعشرون».
(٣) تاريخ الإسلام ٣٢.
(٤) تاريخ الإسلام ٣٢.
(٥) من (أ).

الهَكّاريُّ[1]، المعروف بشيخ الإسلام، وكان فاضلاً، عابداً، كثير السماع، إلاّ أنّ الغرائب في حديثه كثيرة لا يُدرى ما سببها.

(والأمير أبو نصر عليّ بن هبة الله بن عليّ بن جعفر العِجليُّ، المعروف بابن ماكولا، مصنّف كتاب «الإكمال»، قتله غلمانه الأتراك بكَرمَان، ومولده سنة اثنتين وأربعمائة، وكان حافظاً)[2].

وفيها، في صفر، توفّي أبو محمّد عامر الضرير[3]، وكان فقيهاً شافعيّاً، مقرئاً، نحويّاً، وكان يصلّي في رمضان بالإمام المقتدي بأمر الله.

وفي جمادى الأولى توفّي الأمير أبو الفضل جعفر بن المقتدي، وأمّه ابنة السلطان ملكشاه، وإليه تُنسب «الجعفريّات»[4].

وفي رجب توفّي الشيخ أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن المحسِّن الوكيل بالمخزن، وكان فقيهاً شافعيّاً، كثير الإحسان إلى أهل العلم، وكان محموداً في ولايته.

وفيها توفّي كمال المُلك الدِّهِستانيُّ الذي كان عميد بغداذ.

وفي رمضان توفّي المشطّب[5] بن محمّد الحنفيّ بالكُحَيْل من أرض الموصِل، وكان الخليفة قد أرسله إلى بَرْكْيارُق، وكان بالموصل، ومعه تاج الرؤساء أبو نصر بن الموصلايا، وكان شيخاً كبيراً، عالماً، مكرماً عند الملوك، وحُمل إلى العراق، ودُفن عند أبي حنيفة.

---

(١) انظر عن (الهكاري) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٨٢ ـ ١٨٤ رقم ١٩٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) ما بين القوسين من (أ). وقد تقدّمت ترجمته في وفيات ٤٧٥ هـ.

(٣) انظر عن (عامر الضرير) في: الوافي بالوفيات ١٦/ ٥٩٣ رقم ٦٣٨، ونكت الهميان ١٧٥، وغاية النهاية ١/ ٣٥١، وبغية الوعاة ٢/ ٢٥ رقم ١٣٣٩ وهو: «عامر بن موسى بن طاهر».

(٤) في الباريسية: «الجعفريتان».

(٥) في (أ): «المتطبب».

وفيه توفّي القاضي أبو عليّ يعقوب بن إبراهيم البَرْزَبينيّ[1]، قاضي باب الأَزَج، ووُلّيَ مكانه القاضي أبو المعالي عزيزي، وكان أبو المعالي شافعيّاً، أشعريّاً، مُغالياً، وله مع أهل باب الأزج أقاصيص وحكايات عجيبة.

وفيها توفّي نصر بن الحسن بن القاسم بن الفضل أبو الليث، وأبو الفتح التُّنْكُتيُّ[2]، له كنيتان، سافر [في] البلاد شرقاً وغرباً، روى «صحيح مسلم» وغيره، وكان ثقة، ومولده سنة ستّ وأربعمائة.

وفي ذي الحجّة منها توفّي أبو الفَرَج عبد الواحد بن محمّد[3] بن عليّ الحنبليُّ، الفقيه، وكان وافر العلم، غزير الدّين، حسن الوعظ والسَّمتْ.

---

(١) في طبعة صادر ٢٢٧/١٠ «المرزباني»، وفي طبعة حيدر أباد من المنتظم ٨٠/٩ «البرذباني»، وفي طبقات الحنابلة: «البرزيني»، والمثبت هو الصحيح كما في مصادر الترجمة التي أوردتها في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٩٦ رقم ٢٠٩.
و«بَرْزَبِين»: قرية بين بغداد وأوانا.

(٢) التُّنكتي: بضم التاء وسكون النون وفتح الكاف وفي آخرها تاء أخرى. (الأنساب) وقال ياقوت: بضم الكاف.
وانظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٩٢ ـ ١٩٥ رقم ٢٠٧ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٣) انظر عن (عبد الواحد بن محمد) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ١٧٩ ـ ١٨١ رقم ١٨٩ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

٤٨٧
ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة

ذكر الخطبة للسلطان بَرْكْيارُق

في هذه السنة، يوم الجمعة رابع عشر المحرّم، خُطب ببغداذ للسلطان بركْيارُق بن ملكشاه، وكان قَدِمها أواخر سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة]، وأرسل إلى الخليفة المقتدي بأمر الله يطلب الخطبة، فأُجيب إلى ذلك، وخُطب له، ولُقّب ركن الدين.

وحمل الوزير عميد الدولة بن جَهِير الخِلع إلى بركْيارُق، فلبسها، وعُرض التقليد على الخليفة ليعلّم عليه، فعلّم فيه، وتوفّي فجأةً على ما نذكره، إن شاء الله تعالى، ووليَ ابنه الإمام المستظهر بالله الخلافة، فأرسل الخِلع والتقليد إلى السلطان بركْيارُق، فأقام ببغداذ إلى ربيع الأوّل من السنة، وسار عنها إلى الموصل(١).

ذكر وفاة المقتدي بأمر الله(٢)

في هذه السنة، يوم السبت خامس عشر المحرّم، توفّي الإمام المقتدي بأمر الله أبو القاسم عبدالله بن الذّخيرة بن القائم بأمر الله أمير المؤمنين فجأةً، وكان قد أُحضر عنده تقليد السلطان بركْيارُق ليعلّم فيه، فقرأه، وتدبّرَه، وعلّم فيه، ثم قُدم إليه طعام،

---

(١) المنتظم ٩/ ٨٠ (١٧/ ١٠)، تاريخ الزمان ١٢١، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥١، المختصر ٢/ ٢٠٤، العبر ٣/ ٣١٤، دول الإسلام ٢/ ١٥، تاريخ الإسلام ٣٣، تاريخ ابن الرودي ٢/ ٦، مرآة الجنان ٣/ ١٤٣، مآثر الإنافة ٢/ ٤ و١٢، تاريخ ابن خلدون ٣/ ٤٧٩، ٤٨٠.

(٢) انظر خبر وفاة المقتدي في تاريخ الإسلام ٣٣ وفيه حشدت مصادر الخبر الكثيرة.

فأكل منه، وغسل يديَهْ، وعنده قهرمانته شمس النهار، فقال لها: ما هذه الأشخاص التي دخلتْ عليّ بغير إذن؟ قالت: فالتفتُّ فلم أر شيئاً، ورأيتُه قد تغيّرت حالته، واسترختْ يداه ورِجلاه، وانحلّت قوّته، وسقط إلى الأرض، فظننتها غشيةً قد لَحِقتْه، فحللتُ أزرار ثوبه، فوجدتُه وقد ظهرت عليه أمارات الموت، ومات لوقته.

قالت: فتماسكتُ، وقلتُ لجارية عندي: ليس هذا وقتَ إظهار الجزع والبكاء[1]، فإن صِحْتِ قتلتُكِ؛ وأحضرتُ الوزير فأعلمتُه الحال، فشرعوا في البَيعة لوليّ العهد، وجهّزوا المقتدي، وصلّى عليه ابنه المستظهر بالله[2]، ودفنوه.

وكان عمره ثمانياً[3] وثلاثين سنة وثمانية أشهر وسبعة أيّام، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثمانية أشهر غيرَ يومَيْن، وأمّه أمّ ولد أرمنيّة تُسمّى أُرجُوان[4]، وتُدعى قرّة العين، أدركتْ خلافته، وخلافة ابنه المستظهر بالله، وخلافة ابن ابنه المسترشد بالله[5].

ووَزَرَ له فخر الدولة أبو نصر بن جَهِير، ثم أبو شجاع، ثم عميد الدولة[6] أبو منصور بن جُهير.

وقُضاته: أبو عبدالله الدامغانيُّ، ثم أبو بكر الشاميُّ.

وكانت أيّامه كثيرة الخير، وواسعة الرزق، وعظُمت الخلافة أكثر ممّا كان من قبله، وانعمرت ببغداذ عدّة محالّ في خلافته منها: البَصَليّة، والقطيعة، والحلبة، والمقتديّة، والأجمة، ودرب القيار[7]، وخربة[8] ابن جَردة، وخربة[9] الهرّاس، والخاتونيّتَيْن.

---

(١) من (أ).

(٢) تاريخ الزمان ١٢١، تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢١، سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٣.

(٣) في الأوربية: «ثمان».

(٤) وقال ابن النجار إسمها: «علم». (سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٢٣).

(٥) المنتظم ٨/ ٢٩١، ٢٩٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٤، وانظر: الإنباء في تاريخ الخلفاء ٢٠٥، والخريدة (قسم العراق) ١/ ٢٥.

(٦) من هنا تبدأ النسخة (ب) من جديد.

(٧) في (ب): «الغبار».

(٨) في (ب): «وخراب».

(٩) في (ب): «وخزانة».

وأمر بنفي المغنيّات والمفسدات من بغداذ، وبيع دُورهنّ، فنُفينَ، ومنع الناس أن يدخل أحد الحمّام إلا بمئزر، وقلع الهراديّ، والأبراج التي للطيور، ومنع من اللعب بها لأجل الاطّلاع على حُرَم الناس، ومنع من إجراء ماء الحمّامات إلى دجلة وألزم أربابها بحفر آبار للمياه، وأمر أنّ من يغسل السمك المالح يعبر إلى النَّجمي فيغسله هناك، ومنع الملّاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين؛ وكان قويّ النفس، عظيم الهمّة من رجال بني العبّاس[١].

ذكر خلافة المستظهر بالله[٢]

لمّا توفّي المقتدي بأمر الله، أُحضر ولده أبو العبّاس أحمد المستظهر بالله، وأُعلم بموته، وحضر الوزير فبايعه، وركب إلى السلطان بركيارُق، فأعلمه الحال، وأخذ بيعته للمستظهر بالله.

فلمّا كان اليوم الثالث من موت المقتدي أظهر ذلك، وحضر عزّ المُلك بن نظام المُلك وزير بركْيارُق، وأخوه بهاء الملك، وأمراء[٣] السلطان، وجميع[٤] أرباب المناصب[٥]: النقيبان طِراد العبّاسيُّ، والمعمّر العلويُّ في[٦] أصحابهما، وقاضي القضاة، والغزاليُّ، والشاشيُّ، وغيرهما من العلماء، فجلسوا في العزاء، وبايعوا، وكان للمستظهر بالله لمّا بويع ستّ عشرة سنة وشهران.

ذكر قتل قسيم الدولة آقسنقر وملك تُتُش حلب والجزيرة وديار بكر وأذربيجان وهمذان والخطبة له ببغداذ

في هذه السنة، في جمادى الأولى، قُتل قسيم الدولة آقسنقر، جدّ ملوكنا بالموصل الآن، أولاد الشهيد زنكي بن آقسنقَر.

---

(١) انظر ترجمة المقتدي بأمر الله في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢١٠ ـ ٢١٢ رقم ٢٢٦ وقد حشدت فيه عشرات المصادر.

(٢) انظر خلافة المستظهر بالله ومصادر الخبر في: تاريخ الإسلام ٣٣، ٣٤.

(٣) في (ب): «وأمر».

(٤) في (ب): «وجمع».

(٥) زاد في (ب): «وجمع».

(٦) من (ب).

وسبب قتله أنّ تاج الدولة تُتُش لمّا عاد من أذربيجان منهزماً لم يزل يجمع العساكر، فكثُرت جموعه، وعظُم حشده، فسار في هذا التاريخ عن دمشق نحو حلب ليطلب[1] السلطنة، فاجتمع قسيم الدولة آقسنقر، وبوزان، وأمدّهما ركن الدين بركْيارُق بالأمير كربوقا الذي صار بعد صاحب الموصل، فلمّا اجتمعوا ساروا إلى طريقه، فلقوه عند نهر سَبعِين[2] قريباً من تلّ السلطان، بينه وبين حلب ستّة فراسخ، واقتتلوا، واشتدّ القتال، فخامر بعض العسكر الذين مع آقسنقَر، فانهزموا، وتبِعهم الباقون، فتمّت الهزيمة، وثبت آقسنقَر، فأُخذ أسيراً، وأُحضر عند تُتُش، فقال له: لو ظفرتَ بي ما كنتَ صنعتَ؟ قال: كنتُ أقتلك! فقال له: أنا أحكم عليك بما كنتَ تحكم عليّ؛ فقتله صبراً.

وسار نحو حلب، وكان قد دخل إليها كربوقا، وبوزان، فحفِظاها منه، وحصرها تُتُش ولجّ في قتالها حتّى ملكها، (سلّمها إليه المقيم بقلعة الشريف، ومنها دخل البلد)[3]، وأخذهما أسيرَيْن، وأرسل إلى حرّان والرُّها ليسلّموه[4] من بهما (وكانتا لبوزان، فامتنعوا من التسليم إليه، فقُتل بوزان، وأُرسل رأسه إليهم)[5] وتسلّم البلدَيْن.

وأمّا كربوقا فإنّه أرسله إلى حمص، فسجنه بها إلى أن أخرجه الملك رضوان بعد قتل أبيه تُتُش.

وكان قسيم الدولة أحسن الأمراء سياسةً لرعيّته، وحفظاً لهم، وكانت بلاده بين رخص عامّ، وعدل شامل، وأمن واسع، وكان قد شرط على أهل كلّ قرية من بلاده، متى أُخذ عندهم[6] قفل، (أو أحد)[7] من الناس، غَرِم أهلها جميع ما يؤخذ من

---

(١) في الباريسية: «ليخطب».
(٢) من الباريسية.
(٣) من (ب).
(٤) في الأوربية: «ليسلمهما».
(٥) من الباريسية.
(٦) في الباريسية: «أحدهم».
(٧) في الباريسية: «واحد».

الأموال من قليل وكثير، فكانت السيّارة، إذا بلغوا قرية من بلاده، ألقوا رحالهم وناموا، وحرسهم أهل القرية إلى أن يرحلوا، فأمنت الطرق.

وأمّا وفاؤه، وحُسنُ عهده، فيكفيه فخراً أنّه قُتل في حفظ بيت صاحبه ووليّ نعمته.

فلمّا ملك تُتُش حرّان والرُّها سار إلى الديار الجزَريّة فملكها جميعها، ثم ملك ديار بكر وخِلاط، وسار إلى أذربيجان فملك بلادها كلّها، ثم سار منها إلى هَمذان فملكها، ورأى بها فخر المُلك بن نظام المُلك، وكان بخُراسان، فسار منها إلى السلطان بركْيارُق ليخدمه، فوقع عليه الأمير قماج، وهو من عسكر محمود ابن السلطان ملكشاه بأصبهان، فنهب فخر المُلك، فهرب منه ونجا بنفسه، فجاء إلى هَمذان فصادفه تُتُش بها، فأراد قتله، فشفع فيه باغي سيان[1]، وأشار عليه أن يستوزره لميل الناس إلى بيته، فاستوزره، وأرسل إلى بغداذ يطلب الخطبة من الخليفة المستظهر بالله، وكان شِحنته ببغداذ أيتكين جب، فلازم الخدمة بالديوان، وألحّ في طلبها، فأُجيب إلى ذلك، بعد أن سمعوا أنّ بركيارق قد انهزم من عسكر عمّه تُتُش، على ما نذكره[2].

ذكر انهزام بركْيارُق من عمّه تُتُش وملكه أصبهان بعد ذلك

في هذه السنة، في شوّال، انهزم بركْيارُق من عسكر عمّه تُتُش. وكان بركْيارُق بنَصِيبين، فلمّا سمع بمسير)[3] عمّه إلى أذربيجان، سار هو من نَصِيبين، وعبرَ دجلة من بلد فوق الموصل، وسار إلى إربل، ومنها إلى بلد سُرخاب بن بدر إلى أن بقي

(١) في الباريسية: «بسان».

(٢) تاريخ الفارقي ٢٤٣، ذيل تاريخ دمشق ١٢٦، بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٠٠، زبدة الحلب ٢/ ١١٠ ـ ١١٢، الروضتين ١/ ٦٦، نهاية الأرب ٢٧/ ٦٨، المختصر ٢/ ٢٠٤، ٢٠٥، العبر ٣/ ٣١٤، دول الإسلام ٢/ ١٥، تاريخ الإسلام ٣٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٥.

(٣) في (ب): «بلغه مسير».

بينه وبين عمّه تسعة فراسخ، ولم يكن معه غير ألف رجل، وكان عمّه في خمسين ألف رجل، فسار الأمير يعقوب بن آبق من عسكر عمّه، فكبسه وهزمه، ونهب سواده، ولم يبق معه إلاّ برسق[1]، وكمشتِكِين الجاندار، واليارق، وهم من الأمراء الكبار، فسار إلى أصبهان.

وكانت خاتون أمّ أخيه محمود قد ماتت، على ما نذكره، فمنعه من بها من الدخول إليها، ثم أذنوا له خديعة منهم ليقبضوا عليه، فلمّا قاربها خرج أخوه الملك محمود فلقيه، ودخل البلد، واحتاطوا عليه، فاتّفق أنّ أخاه محموداً حُمّ وجُدر، فأراد الأمراء أن يكحلوا بركيارق، فقال لهم أمين الدولة ابن التلميذ الطبيب: إنّ الملك محموداً قد جُدر، وما كأنّه يسلم منه، وأراكم تكرهون أن يليكم، ويملك البلاد تاج الدولة، فلا تعجلوا على برْكيارُق، فإنْ مات محمود أقيموه ملكاً، وإنْ سلِم محمود فأنتم تقدرون على كحْله. فمات محمود سلْخ شوّال، فكان هذا من الفَرَج بعد الشدّة، وجلس برْكيارُق للعزاء بأخيه.

وكان مولد محمود في صفر سنة ثمانين وأربعمائة. وقصده مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، فاستوزره في ذي الحجّة، وكان أخوه عزّ المُلك بن نظام المُلك قد مات لمّا كان مع بركيارق بالموصل، وحُمل إلى بغداذ، فدُفن بالنظاميّة.

وكان أصبحَ الناس وجهاً، وأحسنهم خُلقاً وسيرةً، وكان قد أجرى الناس على ما بأيديهم من توقيعات أبيه في الإطلاقات من خاصّته[2]، منها ببغداذ مائتا كرّ غلّة، وثمانية عشر ألف دينار أميريّ.

ثم إنّ برْكيارُق جُدر، بعد أخيه، وعوفي وسلِم، فلمّا عوفي كاتب مؤيّد المُلك وزيرُه الأمراء العراقيّين، والخُراسانيّين، واستمالهم، فعادوا كلّهم إلى برْكيارُق، فعظُم شأنه وكثُر عسكره[3].

---

(١) في (ب): «برشق».

(٢) في الأوربية: «خاصه».

(٣) في (ب): «جمعه». والخبر في: تاريخ الفارقي ٢٦٤، تاريخ مختصر الدول ١٩٥، زبدة التواريخ ٦٥٩، تاريخ دولة آل سلجوق ٨١، نهاية الأرب ٣٣٨/٢٦، المختصر في أخبار البشر ٢٠٥/٢، دول الإسلام ١٥/٢، تاريخ الإسلام ٣٥، تاريخ ابن الوردي ٦/٢، ٧.

ذكر وفاة أمير الجيوش بمصر

في هذه السنة، في (ذي القعدة)[1]، توفّي أميرُ الجيوش بدر الجماليُّ، صاحب الجيش بمصر، وقد جاوز ثمانين سنة، وكان هو الحاكم في دولة المستنصر، والمرجوع إليه.

وكان قد استعمله على الشام سنة خمسٍ وخمسين وأربعمائة، وجرى بينه وبين الرعيّة والجُند بدمشق ما خاف [منه] على نفسه، فخرج عنها هارباً، وجمع وحشد، وقدِم إلى الشام فاستولى عليه بأسره سنة ستّ وخمسين [وأربعمائة]، ثمّ خالفه أهل دمشق مرّة أخرى، فهرب منهم سنة ستّين، وخرب العامّة والجُند قصر الإمارة، ثم مضى أمير الجيوش إلى مصر، وتقدّم بها، وصار صاحب الأمر[2].

قال علقمة بن (عبد الرزّاق)[3] العليميُّ: قصدتُ بدراً الجماليَّ بمصر، فرأيتُ أشراف الناس وكبراءهم على بابه، قد طال مُقامهم ولم يصلوا إليه، قال: فبينا أنا كذلك إذ خرج بدر يريد الصيد، فخرج علقمة في أثره، وأقام إلى أن رجع من صيده، فلمّا قاربه وقف على نشز من الأرض، وأومأ برُقعة في يده، وأنشأ يقول:

نحنُ التّجارُ، وهذه أعلاقُنا، ... دُرٌّ، وَجَودُ يمينِك المُبتاعُ
قَلِّبْ، وفتّشْها بسَمعك إنّما ... هيَ جَوهرٌ تختاره الأسماعُ
كَسَدَتْ علَينا بالشآم، وكلّما ... قَلَّ النَّفاقُ تَعطّلَ الصُّنّاعُ
فأتاكَ يحملُها إليكَ تِجارُها ... ومَطيُّها الآمالُ والأطمَاعُ
حتّى أنَاخُوها ببَابِك، والرَّجَا ... مِن دونِك السِّمْسارُ والبَيّاعُ
فوهبْتَ ما لم يُعطِه[4] في دهره ... هَرِمٌ، ولا كعْبٌ، ولا القَعْقاعُ
وسبَقْتَ هذا الناسَ في طلب العُلى ... فالناس، بعدَك، كلّهم أتْباعُ
يا بدرُ أُقسِمُ لو بِكَ اعتصَم الورَى، ... ولَجُوا إليكَ جميعُهم، ما ضاعوا[5]

---

(١) في (ب): «ربيع الأول».
(٢) انظر خبر وفاة أمير الجيوش في: تاريخ الإسلام ٣٦ وفيه مصادره الكثيرة.
(٣) في (ب): «الوراق».
(٤) في (ب): «تعطه».
(٥) الأبيات في: وفيات الأعيان ٢/ ٤٤٩، ٤٥٠، واتعاظ الحنفا ٢/ ٣٣.

وكان على يد بدر بازيّ فألقاه وانفرد عن الجيش، وجعل يستردّ الأبيات وهو ينشدُها إلى أن استقرّ في مجلسه، ثم قال لجماعة غلمانه وخاصّته: من أحبّني فلْيَخْلعْ على هذا الشاعر؛ فخرج من عنده ومعه سبعون بغلاً، يحمل الخِلع والتحف، وأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج من عنده وفرّق كثيراً من ذلك على الشعراء؛ ولمّا مات بدر قام بما كان إليه ابنه الأفضل.

ذكر وفاة المستنصر وولاية ابنه المستَعْلي[1]

في هذه السنة، ثامن عشر ذي الحجّة، توفّي المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ بن أبي الحسن عليّ الظاهر لإعزاز دين الله العلويُّ، صاحب مصر والشام، وكانت خلافته ستّين سنة وأربعة أشهر، وكان عمره سبعاً[2] وستّين سنة، وهو الذي خطب له البساسيريُّ ببغداذ، وقد ذكرنا ذلك.

وكان الحَسن بن الصَّبّاح، رئيس هذه[3] الطائفة الإسماعيليّة، قد قصده في زيّ تاجر، واجتمع به، وخاطبه في إقامة الدعوة له ببلاد العجم، فعاد ودعا الناس إليه سرّاً، ثم أظهرها، وملك القلاع، كما ذكرناه، وقال للمستنصر: مَن إمامي بعدَك؟ فقال: ابني نِزار، وهو أكبر أولاده، والإسماعيليّةُ إلى يومنا هذا يقولون بإمامة نزار.

ولقي المستنصر شدائد وأهوالاً، وانفتقت عليه الفتوق بديار مصر، أخرج فيها أمواله وذخائره إلى أن بقي لا يملك غير سَجّادته التي يجلس عليها، وهو مع هذا صابرٌ غيرُ خاشع، وقد أتينا على ذكر هذا سنة سبعٍ وستّين وأربعمائة وغيرها.

ولمّا مات وليَ بعده ابنه أبو القاسم أحمد المستعلي بالله، ومولده في المحرّم سنة سبعٍ وستّين وأربعمائة، وكان قد عهد في حياته بالخلافة لابنه نزار، فخلعه الأفضل وبايع المستعلي بالله.

وسبب خلعه أنّ الأفضل ركب مرّة، أيّام المستنصر، ودخل دهليزَ القصر من

---

(١) انظر خبر وفاة المستنصر بالله في: تاريخ الإسلام ٣٥ وفيه مصادر كثيرة.

(٢) في الأوربية: «سبع».

(٣) من (ب).

باب الذهب راكباً، ونزار خارج، والمجاز مظلم، فلم يره الأفضل، فصاح به نزار: أنزل، يا أرمنيّ، كلب[1]، عن الفَرَس، ما أقلّ أدبك! فحقدها عليه، فلمّا مات المستنصر خلعه خوفاً منه على نفسه، وبايع المستعلي، فهرب نزار إلى الإسكندريّة، وبها ناصر الدولة أفتكين، فبايعه أهل الإسكندريّة، وسمّوه المصطفى لدين الله، فخطب الناس، ولعن الأفضلَ، وأعانه أيضاً القاضي جلال الدولة بن عمّار، قاضي الإسكندريّة، فسار إليه الأفضل، وحاصره بالإسكندريّة، فعاد عنه مقهوراً؛ ثم ازداد عسكراً، وسار إليه فحصره وأخذه، وأخذ أفتكين فقتله، وتسلّم المستعلي نزاراً فبنى[2] عليه حائطاً فمات، وقتل القاضي جلال الدولة بن عمّار ومن أعانه[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الآخر، رأى بعض اليهود بالغَرب رؤيا أنّهم سيطيرون، فأخبر اليهود بذلك، فوهبوا أموالهم وذخائرهم، وجعلوا ينتظرون الطيران، فلم يطيروا، وصاروا ضحكةً بين الأمم[4].

وفي هذا الشهر كانت بالشام زلازل كثيرة متتابعة يطول مكثها، إلاّ أنّه[5] لم يكن الهدم كثيراً[6].

---

(١) في الباريسية: «جلب».

(٢) في الأوربية: «نزار فبنا».

(٣) في (ب): «أطاعه». والخبر في: أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٣٥ ـ ٣٧، وتاريخ حلب ٣٧٥ (٢٣)، وتاريخ الفارقي ٢٦٧، وذيل تاريخ دمشق ١٢٨، وتاريخ مختصر الدول ١٩٥، وأخبار الدول المنقطعة ٨١ ـ ٨٤، والمغرب في حُلي المغرب ٨١، ومرآة الزمان ٨ ق١/ ٢، ونهاية الأرب ٢٨/ ٢٤٥، ٢٤٦، والدرّة المضية ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٧، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٢٧ ـ ٢٢٩ رقم ٢٤٧، ومرآة الجنان ٣/ ١٥٨، واتعاظ الحنفا ٣/ ١٢ ـ ١٤، والذيل على رفع الإصر للسخاوي ١٥٣ ـ ١٥٥، والنجوم الزاهرة ٥/ ١٤٤، وحسن المحاضرة ١/ ١٠٣، ومعجم الأنساب ١/ ١٦٠، وكتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ج ٣/ ٣٠٢ ـ ٣٠٥ رقم ١٠٣٩ وفيه مصادر أخرى.

(٤) المنتظم ٩/ ٨٣ (١٧/ ١٤).

(٥) في الأوربية: «أنها»، والمثبت من الباريسية.

(٦) في الباريسية: «كثيراً»، وفي الأوربية: «كثيرة». والخبر في: المنتظم ٩/ ٨١ (١٧/ ١١).

وفيها كانت الفتنة بين أهل نهر طابق وأهل باب الأرجا، فاحترقت نهر طابق، وصارت تلولاً، فلمّا احترقت عبر يُمن، صاحب الشرطة، فقتل رجلاً مستوراً، فنفر الناس منه، وعُزل في اليوم الثالث[1].

وفيها توفّي محمّد بن أبي هاشم الحسينيُّ[2]، أمير مكّة، وقد جاوز سبعين سنة، ولم يكن له ما يُمْدَح به، وكان قد نهب بعض الحجّاج سنة ستّ وثمانين [وأربعمائة] وقتل منهم خلقاً كثيراً.

وفيها، في ربيع الأوّل، قتل السلطان بركْيارُق عمّه تكش وغرّقه، وقتل ولده معه، وكان ملكشاه (قد أخذه)[3]، لمّا خرج عليه، وكحله[4]، وحبسه بقلعة تكريت، فلمّا ملك بركْيارُق أحضره إليه ببغداذ، وسار بمسيره، فظفر بملطّفات إليه من أخيه تُتُش يحثّه على اللحاق به، وقيل إنّه أراد المسير إلى بلْخ لأنّ أهلها كانوا يريدونه، فقتله، فلمّا غرق بَقِيَ[5] بسرّ من رأى، فحُمل إلى بغداذ، فدُفن عند قبر أبي حنيفة[6].

وفيها، في جمادى الآخرة، كانت وقعة بين الأمير أُنَر وتورانشاه، ابن قاورت بك، وكانت تركان خاتون الجلاليّة، والدة محمود بن ملكشاه، قد أرسلته في عسكر ليأخذ بلاد فارس من تورانشاه، ولم يُحسن الأمير أُنَر تدبير بلاد فارس، فاستوحش منه الأجناد، واجتمع مع تورانشاه وهزموا أُنَر، ومات تورانشاه، بعد الكسرة (بشهر، من سهم)[7] أصابه فيها.

وفيها استولى أصْبَهْبذ بن ساوتكين على مكّة، حرسها الله، عَنوةً، وهرب منها الأمير قاسم بن أبي هاشم العلويُّ صاحبها، وأقام بها إلى شوّال، وجمع الأمير قاسم

(١) المنتظم ٩/ ٨٣ (١٧/ ١٤).

(٢) انظر عن (محمد بن أبي هاشم) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٢٥ رقم ٢٤٤ وفيه مصادر ترجمته.

(٣) من (ب).

(٤) في (ب) من غير «و».

(٥) في الأوربية: «فغا».

(٦) المختصر ٢/ ٢٠٥، تاريخ الإسلام ٣٦، دول الإسلام ٢/ ١٥، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٦، ٧، مآثر الإنافة ٢/ ٢١، النجوم الزاهرة ٥/ ١٤٠.

(٧) في (ب): «بشهرين لسهم».

وكبسه بعُسفان، وجرى بينهما حرب في شوّال من هذه السنة، فانهزم أَصْبَهْبذ، ودخل قاسم إلى مكّة، ومضى أصبَهْبذ إلى الشام وقدِم إلى بغداذ[1].

وفيها، في رجب، أحرق شحنة بغداذ، وهو أيتكين، جَب[2] باب البصرة[3]؛ وسبب ذلك أنّ النقيب طِراداً[4] الزينبيّ كان له كاتب يُعرف بابن سِنان، فقُتل، فأنفذ النقيب إلى الشِحنة يستدعي منه من يقيم السياسة، فأنفذ حاجبه محمّداً، فرجمه أهل باب البصرة، وأدمَوه، فرجع إلى صاحبه فشكا إليه منهم، فأمر أخاه بقصدهم ومعاقبتهم على فعلهم، فسار إليهم في جماعة كثيرة، وتبِعهم أهل الكرْخ، فأحرقوا ونهبوا، فأرسل الخليفة إلى الشِحنة يأمره بالكفّ عنهم فكفّ.

[الوفيات]

وفيها، في رمضان، توفّيت تركان خاتون[5] الجلاليّة بأصبهان، وهي ابنة طفغاج[6] خان، وهو من نسل افراسياب التركيّ، وكانت قد برزت من أصبهان لتسير إلى تاج الدولة تُتُش لتتّصل به، فمرضت وعادت وماتت، وأوصت إلى الأمير أُنَر وإلى الأمير سرمز[7] شِحنة أصبهان بحفظ المملكة على ابنها محمود، ولم يكن بقي بيدها سِوى قصبة أصبهان، ومعها عشرة آلاف فارس أتراك.

وفيها، في ذي القعدة، توفّي أبو الحسين بن الموصلايا، كاتب ديوان الزمام ببغداذ[8].

---

(١) شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/ ٣١٢.

(٢) في (ب): «حب».

(٣) في (ب): «النصر».

(٤) في الأوربية: «طراد».

(٥) انظر عن (تركان خاتون) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٦، ٣٧ وفيه مصادر ترجمتها.

(٦) في (ب)؛ «طنغاج».

(٧) في (ب)؛ «سرمن».

(٨) زاد في (ب): «وانقضت السنة».

٤٨٨
ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة

ذكر دخول جمع من الترك إفريقية وما كان منهم

في هذه السنة غدر شاهملك التركيُّ بيحيى بن تميم بن المعزّ بن باديس، وقبض عليه.

وكان شاهملك هذا من أولاد بعض الأمراء الأتراك ببلاد الشرق، فناله في بلده أمر اقتضى خروجه منه، فسار إلى مصر في مائة فارس، فأكرمه الأفضل أمير الجيوش، وأعطاه إقطاعاً ومالاً، ثم بلغه عنه أسباب أوجبت إخراجه من مصر، فخرج هو وأصحابه هاربين، فاحتالوا حتّى أخذوا سلاحاً وخيلاً وتوجّهوا إلى المغرب، فوصلوا إلى طَرابُلس الغرب، وأهل البلد كارهون لواليها، فأدخلوهم البلد، وأخرجوا الوالي، وصار شاهملك أمير البلد.

فسمع تميم الخبر، فأرسل العساكر إليها، فحصروها، وضيّقوا على الترك ففتحوها، ووصل شاهملك معهم إلى المهديّة، فسُرّ به تميم وبمن معه، وقال: وُلد لي مائة ولد أنتفع بهم؛ وكانوا لا يخطىء لهم سهم.

فلم تطل الأيّام حتّى جرى منهم أمر غيّر تميماً عليهم، فعلم شاهملك ذلك، وكان داهياً، خبيثاً، فخرج يحيى بن تميم إلى الصيد في جماعة من أعيان أصحابه نحو مائة فارس، ومعه شاهملك، وكان أبوه تميم قد تقدّم إليه أن لا يقرّب شاهملك، فلم يقبلْ. فلمّا أبعدوا في طلب الصيد غدر به شاهملك فقبض عليه، وسار به وبمن أخذ معه من أصحابه إلى مدينة سَفَاقُس.

وبلغ الخبر تميماً، فركب، وسيّر العساكر في أثرهم، فلم يدركوهم، ووصل

شاهملك بيحيى بن تميم إلى سفاقُس، فركب صاحبها، واسمه حمّو[١]، وكان قد خالف على تميم، ولقي يحيى، ومشى في ركابه راجلاً، وقبّل يده وعظّمه، واعترف له بالعبوديّة، فأقام عنده أيّاماً، ولم يذكره أبوه بكلمة، وكان قد جعله وليَّ عهده، فلمّا أُخذ أقام أبوه مقامه ابناً له آخر اسمه المثنّى.

ثم إنّ صاحب سفاقُس خاف يحيى على نفسه أن يثور معه الجُند وأهل البلد ويملّكوه عليهم، فأرسل إلى تميم كتاباً يسأله في إنفاذ الأتراك وأولادهم إليه ليرسل ابنه يحيى، ففعل ذلك بعد امتناع، وقدم يحيى، فحجبه أبوه عنه[٢] مدّةً، ثم أعاده إلى حاله، ورضي عنه، ثم جهّز تميم عسكراً إلى سفاقُس، ويحيى معهم[٣]، فساروا إليها وحصروها برّاً وبحراً، وضيّقوا على الأتراك بها، وأقاموا عليها شهرَيْن، واستولوا عليها، (وفارقها الأتراك إلى قَابِس)[٤].

وكان تميم لمّا رضي عن ابنه يحيى عظُم ذلك على ابنه الآخر المثنّى، وداخَلَه الحسد، فلم يملك نفسه، فنُقل عنه إلى أبيه ما غيّر قلبه عليه، فأمر بإخراجه من المهديّة بأهله وأصحابه، فركب في البحر ومضى إلى سفاقُس، فلم يمكّنه عامله من الدخول إليها، وقصد مدينة قابِس، وبها أمير يقال له مكين[٥] بن كامل الدهسمانيُّ، فأنزله وأكرمه، فحسّن له المثنّى الخروج معه إلى سفاقُس والمهديّة، وأطمعه فيهما، وضمن الإنفاق على الجُند من ماله، فجمع مكين من يمكنه جمعه، وسار إلى سفاقُس، ومعهما شاهملك التركيُّ وأصحابه، فنزلوا على سَفاقُس وقاتلوها.

وسمع تميم، فجرّد إليها جُنداً، فلمّا علم المثنّى ومن معه أنّهم لا طاقة لهم بها ساروا عنها إلى المهديّة، فنزلوا عليها وقاتلوها، وكان الذي يتولّى القتال في المهديّة يحيى بن تميم، وظهرت منه شهامة، وشجاعة، وحزم، وحُسن تدبير، فلم يبلغ أولئك منها غرضاً، فعادوا خائبين، وقد تلف ما كان مع المثنّى من مال وغيره، وعظُم أمر يحيى، وصار وهو المشار إليه.

---

(١) في الأوربية: «حموا».

(٢) في (ب): «عنده».

(٣) في (ب): «صحبتهم».

(٤) من الباريسية.

(٥) في (ب): «مكن».

ذكر قتل أحمد خان صاحب سَمَرْقَنْد[١]

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل أحمد خان، صاحب سَمَرْقَنْدَ، وكان قد كرهه عسكره واتّهموه بفساد الاعتقاد، وقالوا: هو زنديق[٢].

وكان سبب ذلك أنّ السلطان ملكشاه، لمّا فتح سمرقَند وأسر أحمد خان هذا، قد وكّل به جماعة من الديلم، فحسنّوا له معتقدهم، وأخرجوه إلى الإباحة، فلمّا عاد إلى سمرقند كان يظهر منه أشياء تدلّ على انحلاله من الدّين، فلمّا كرهه أصحابه، وعزموا على قتله، قالوا لمستحفظ قلعة كاسان، وهو طُغْرل ينّال بك، ليظهر العصيان ليسير أحمد خان معهم من سمرقند إلى قتاله، فيتمكّنوا من قتله، فعصى طُغْرُل ينّال بك، فسار أحمد خان والعسكر إلى قتاله، فلمّا نازل القلعة تمكّن العسكر منه، وقبضوا عليه، وعادوا إلى سمرقند، وأحضروا القضاة والفقهاء، وأقاموا خصوماً ادعوا عليه الزندقة، فجحد، فشهد عليه جماعة بذلك، فأفتى الفقهاء بقتله، فخنقوه، وأجلسوا ابنَ عمّه مسعوداً[٣] مكانه وأطاعوه[٤].

ذكر ما فعله يوسف بن آبق ببغداذ

في هذه السنة، في صفر، سيّر الملك تُتُش يوسفَ بن آبق التركمانيَّ شِحنة لبغداذ، ومعه جمْعٌ من التركمان، فمُنع من دخول بغداذ، وورد إليه صدقة بن مَزْيد صاحب الحِلّة (وكان يكره تُتُش، ولم)[٥] يخطب له في بلاده، فلمّا سمع ابن آبق بوصوله عاد إلى طريق خُراسان ونهب بَاجِسْرا، وقاتله العسكر بَبعقُوبا، فهزمهم ونهبهم[٦] أفحش نهب وأكثر معه من التركمان وعاد إلى بغداذ.

---

(١) العنوان من (ب).

(٢) في الأوربية: «زندق».

(٣) في الأوربية: «مسعود».

(٤) المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٦، العبر ٣/٣١٨، دول الإسلام ٢/١٧، تاريخ الإسلام ٣٨، تاريخ ابن الوردي ٢/٧، مرآة الجنان ٣/١٤٥، تاريخ الخلفاء ٤٢٦.

(٥) من الباريسية.

(٦) في (ب): «ونهبها».

وكان صدقة قد رجع إلى الحِلّة، فدخل يوسف بن آبق إلى بغداذ، وأراد نهبها والإيقاع بأهلها، فمنعه أمير كان معه من ذلك، ثم وصل إليه الخبر بقتل تُتُش، فرحل عن بغداذ إلى الموصل، وسار من هناك إلى حلب(١).

ذكر الحرب بين بركيارُق وتُتُش وقتل تُتُش

في هذه السنة، في صفر، قُتِل تُتُش بن ألب أرسلان.

وكان سبب ذلك أنّه لمّا هُزم السلطان بركْيارُق، كما ذكرناه، سار من موضع الوقعة إلى همذان، وقد تحصّن بها أمير آخر، فرحل تُتُش عنها، فتبعه أمير آخُر لأجل أثقاله، فعاد عليه تُتُش فكسره، فعاد إلى همَذان، واستأمن إليه، وصار معه.

وبلغ تُتُش مرض بَرْكْيارُق، فسار إلى أصبهان، فاستأذنه أمير آخرُ في قصد جرباذقان لإقامة الضيافة وما يحتاج إليه، فأذِن له، فسار إليها، ومنها إلى أصبهان، وعرّفهم خبر تُتُش.

وعلم تُتُش خبره، فنهب جرباذقان، وسار إلى الرَّيّ، وراسل الأمراء الذين بأصبهان يدعوهم إلى طاعته، ويبذل لهم البذول الكثيرة، وكان بركيارق مريضاً بالجُدَري، فأجابوه يَعِدُونه بالانحياز إليه، وهم ينتظرون ما يكون من بركْيارُق. فلمّا عوفي أرسلوا إلى تُتُش: ليس بيننا غير السيف؛ وساروا مع بركْيارُق من أصبهان، وهم في نفرٍ يسير، فلمّا بلغوا جرباذقان أقبلت إليهم العساكر من كلّ مكان، حتّى صاروا في ثلاثين ألفاً، فالتقوا بموضع قريب من الرَّيّ، فانهزم عسكر تُتُش وثبت هو، فقُتل؛ قيل قتله بعض أصحاب آقسنقَر، صاحب حلب، أخذاً بثأر صاحبه.

وكان قد قُبض على فخر المُلك بن نظام المُلك، وهو معه، فأُطلق، واستقام الأمر والسلطنة لبركْيارُق، وإذا أراد الله أمراً هيّأ أسبابه، بالأمس ينهزم من عمّه تُتُش، ويصل إلى أصبهان في نفر يسير، فلا يتبعه أحد، ولو تبِعه عشرون فارساً لأخذوه لأنّه بقي على باب أصبهان عدّة أيّام، ثم لمّا دخلها أراد الأمراء كحله، فاتّفق أنّ أخاه حُمّ ثاني يوم وصوله، وجُدر، فمات، فقام في الملك مُقامه، ثم جُدر هو وأصابه معه

---

(١) المنتظم ٩/ ٨٤ (١٧/ ١٥)، دول الإسلام ٢/ ١٧، تاريخ الإسلام ٣٨، ٣٩.

سِرسام، فعوفي، وبقي مذ كسره عمّه إلى أن عوفي وسار عن أصبهان أربعة أشهر لم يتحرّك عمّه، ولا عمل شيئاً، ولو قصده وهو مريض أو وقت مرض أخيه لملك البلاد:

وللهِ سِــــرٌّ فـــــي عُــــلاك، وإنّمــــا كـلامُ العِـدى ضَـربٌ مـن الهَـذَيـانِ[1]

ذكر حال الملك رُضوان وأخيه دُقاق بعد قتل أبيهما

كان تاج الدولة تُتُش قد أوصى أصحابه بطاعة ابنه الملك رُضوان، وكتب إليه من بلد الجبل، قبل المصافّ الذي قُتل فيه، يأمره أن يسير إلى العراق، ويقيم بدار المملكة، فسار في عدد كثير منهم: إيلغازي بن أُرْتُق، وكان قد سار إلى تُتُش، فتركه عند ابنه رضوان، ومنهم: الأمير وثّاب بن محمود[2] بن صالح بن مرداس، وغيرهما، فلمّا قارب هَيْتَ بلغه قتل أبيه، فعاد إلى حلب، ومعه والدته، فملكها، وكان بها أبو القاسم الحسن بن عليّ الخُوارزميُّ، قد سلّمها إليه تُتُشُ وحكّمه في البلد والقلعة.

ولحِق برضوان زوج أمّه جناح الدولة الحسين بن أيتكين، وكان مع تُتُش، فسلم من المعركة، وكان مع رضوان أيضاً أخواه الصغيران: أبو طالب وبَهرام، وكانوا كلّهم مع أبي القاسم كالأضياف لتحكّمه في البلد؛ واستمال جناح الدولة المغاربة، وكانوا أكثر جُند القلعة، فلمّا انتصف الليل نادوا بشعار الملك رضوان، واحتاطوا على أبي القاسم، وأرسل إليه رضوان يطيّب قلبه، فاعتذر، فقبِل عذره، وخطب لرضوان على منابر حلب وأعمالها، ولم يكن يخطب له بل كانت الخطبة لأبيه، بعد قتله، نحو شهرَيْن.

وسار جناح الدولة في تدبير المملكة سيرة حسنة، وخالف عليهم الأمير ياغي

---

(١) تاريخ حلب ٣٥٧ (٢٣)، المنتظم ٩/ ٨٥ (١٧/ ١٥)، ذيل تاريخ دمشق ١٣٠، تاريخ الفارقي ٢٤٤، زبدة التواريخ ١٦٠، ١٦١ زبدة الحلب ٢/ ١١٩، نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٩ و٢٧/ ٦٩، المختصر ٢/ ٢٠٦، العبر ٣/ ٣١٩، دول الإسلام ٢/ ١٧، تاريخ الإسلام ٣٩، الدرّة المضية ٤٤٤، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٧، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٨، مرآة الجنان ٣/ ١٤٥، مآثر الإنافة ٢/ ١٩، ٢٠، تاريخ ابن خلدون ٣/ ١٦، ١٧، النجوم الزاهرة ٥/ ١٥٥.

(٢) في (ب): «محمد».

سيان[١] بن محمّد بن ألب التركمانيُّ، صاحب أنطاكية، ثم صالحهم، وأشار على الملك رضوان بقصد ديار بكر، لخلوّها من والٍ يحفظها، فساروا جميعاً، وقدِم عليهم أمراء الأطراف الذين كان تُتش رتّبهم فيها، وقصدوا سَرُوج فسبقهم إليها الأمير سُقمان بن أُرتُق جَدّ[٢] أصحاب الحصن اليوم، وأخذها، ومنعهم عنها، وأمر أهل البلد فخرجوا إلى رضوان وتظلّموا إليه من عساكره وما يفسدون من غلاّتهم، ويسألونه الرحيل، فرحل عنهم إلى الرُّها.

وكان بها رجل من الروم يقال له الفارقليط، وكان يضمن البلد من بوزان، فقاتل المسلمين بمن معه، واحتمى بالقلعة، وشاهدوا من شجاعته ما لم يكونوا[٣] يظنّونه، (ثم ملكها رضوان)[٤]، وطلب ياغي سيان[٥] القلعة من رضوان، فوهبها له، فتسلّمها وحصّنها، ورتّب رجالها، وأرسل إليهم أهلُ حرّان (يطلبونهم ليسلّموا إليهم حرّان)[٦]، فسمع ذلك قراجة أميرها، فاتّهم ابن المفتي، وكان ابن المفتي هذا قد اعتمد عليه تُتُش في حفظ البلد، فأخذه، وأخذ معه بني أخيه، فصلبهم.

ووصل الخبر إلى رضوان، وقد اختلف جناح الدولة وياغي سيان، وأضمر كّل واحد منهما الغدر بصاحبه، فهرب جناح الدولة إلى حلب، فدخلها، واجتمع بزوجته أمّ الملك رضوان، وسار رضوان وياغي سيان، فعبرا الفرات إلى حلب، فسمعا بدخول جناح الدولة إليها، ففارق ياغي سيان الملك رضوان، وسار إلى أنطاكية، ومعه أبو القاسم الخُوارزميّ، وسار رضوان إلى حلب.

وأمّا دقاق بن تُتُش فإنّه كان قد سيّره أبوه إلى عمّه السلطان ملكشاه ببغداذ، وخطب له ابنة السلطان، وسار بعد وفاة السلطان مع خاتون الجلاليّة وابنها محمود إلى أصبهان، وخرج إلى السلطان بركيارق سرّاً، وصار معه، ثم لحق بأبيه، وحضر معه الوقعة التي قُتل فيها.

---

(١) في الباريسية: «باغي سان»، وفي هامشها: «سنان»، وفي طبعة صادر ١٠/٢٤٦ باغي.
(٢) وزاد في (ب): «هولا».
(٣) في الأوربية: «لا كانوا».
(٤) من الباريسية.
(٥) في الأصل: «باغي سان»، وفي طبعة صادر ١٠/٢٤٧ «باغي».
(٦) من الباريسية.

فلمّا قُتل أبوه أخذه غلام لأبيه اسمه أيتكين الحلبيّ، وسار به إلى حلب، وأقام عند أخيه الملك رضوان، فراسله الأمير ساوتكين الخادم الوالي بقلعة دمشق سِرّاً، يدعوه ليملّكه دمشق، فهرب من حلب سِرّاً، وجدّ في السير، فأرسل أخوه رضوان عِدّة من الخيّالة، فلم يدركوه، فلمّا وصل إلى دمشق فرح به الخادم، وأظهر الاستبشار، ولقيه، فلمّا دخلها أرسل إليه ياغي سيان يشير عليه بالتفرّد بملك دمشق عن أخيه رضوان.

واتّفق وصول معتمد الدولة طغدكين إلى دمشق، ومعه جماعة من خواص تُتُش وعسكره، وقد سلموا، فإنّه كان قد شهد الحرب مع صاحبه، وأُسِر، فبقي إلى الآن، وخلص من الأسر، فلمّا وصل إلى دمشق لقيه الملك دقاق (وأرباب دولته، وبالغوا في إكرامه، وكان زوج والدة دقاق)[١] فمال إليه لذلك، وحكّمه في بلاده، وعملوا على قتل الخادم ساوتكين، فقتلوه، وسار إليهم ياغي سيان[٢] من أنطاكية، ومعه أبو القاسم الخُوارزميُّ، فجعله وزيراً لدُقاق، وحكّمه في دولته[٣].

ذكر وفاة المعتمد بن عبّاد

في هذه السنة توفّي المعتمد بن عبّاد، الذي كان صاحب الأندلس، مسجوناً بأغْمَاتَ، من بلد المغرب، وقد ذكرنا كيف أُخذت بلاده منه سنة أربع وثمانين وأربعمائة، فبقي مسجوناً إلى الآن، وتوفّي، وكان من محاسن الدنيا كرماً، وعلماً، وشجاعة، ورئاسة تامّة، وأخباره مشهورة، وآثاره مدوّنة.

وله أشعار حسنة، فمنها ما قاله لمّا أُخذ ملكه وحُبس:

سلّتْ عليَّ يدُ الخُطوبِ سُيوفَها　　　فجذَذْن[٤] من جسدي الحصِيف[٥] الأمتَنا[٦]

---

(١) من (ب).

(٢) في الباريسية: «ياغي سان»، وفي طبعة صادر ٢٤٨/١٠ «باغي».

(٣) تاريخ حلب ٣٥٧ (٢٣، ٢٤، ذيل تاريخ دمشق ١٣٠، تاريخ الفارقي ٢٤٥، زبدة الحلب ١٢٠/٢، ١٢١، بغية الطلب (مخطوط) ١٧٦/٨، نهاية الأرب ٧١/٢٧، المختصر في أخبار البشر ٢٠٧/٢، العبر ٣١٩/٣، تاريخ الإسلام ٣٩، ٤٠، الدرّة المضية ٤٤٤، البداية والنهاية ١٤٨/١٢، تاريخ ابن الوردي ٧/٢، ٨.

(٤) في (ب): «فجددت».

(٥) في الأوربية: «الخصيف»، وفي تاريخ الإسلام: «الخصيب».

(٦) في تاريخ الإسلام: «الأفتنا».

ضربَتْ بها أيدي الخُطوبِ، وإنما ضربَتْ رقابَ الآملِينَ بِها المُنَى[1]
يا آملي العاداتِ من نَفَحَاتِنا، كُفّوا، فإنّ الدَّهرَ كَفَّ أكُفَّنا[2]

وله من قصيدة يصف القَيد في رِجله:

تعطّفَ في ساقي تَعَطُّفَ أرْقمٍ، يُساورُها عَضّاً بأنيابِ ضَيغَمَ
وإنّي مَن كانَ الرجالُ بسَيْبِهِ، ومن سَيْفه[3] في جَنّةٍ وجَهَنّمِ

وقال في يوم عيد:

فيما مضَى كنتَ بالأعيادِ مسروراً، فساءك العِيدُ[4]، في أغماتَ، مأسورَا
قد كانَ دَهرُك إن تأمُرْهُ مُمتثِلاً، فردَّكَ الدهرُ مَنهيّاً، ومأمورَا
من باتَ بَعدَكَ في مُلكٍ يُسَرُّ بِه، فإنّما باتَ بالأحلامِ مسرورَا[5]

وكان شاعره أبو بكر بن اللُّبانة يأتيه وهو مسجون، فيمدحه لا لجدوَى ينالها منه، بل رِعايةً لحقّه وإحسانه القديم إليه. فلمّا توفّي أتاه، فوقف على قبره، يومَ عيدٍ، والناس عند قبور أهليهم، وأنشد (بصوت عال)[6]:

مَلِكَ المُلوكِ أسامِعٌ فأُنادي[7]، أم قد عَدَاكَ عَنِ الجوابِ عَوادي
لمّا خلَتْ منكَ القصورُ، ولم تكُن فيها، كما قد كنتَ في الأعيادِ
فَمَثَلتُ[8] في هذا الثّرى لكَ خاضِعاً[9] وتَخِذتُ قَبْرَكَ مَوضِعَ الإنشادِ

---

(١) في الأوربية: «المنا».
(٢) تاريخ الإسلام (٤٨١-٤٩١ هـ.) ص ٤١.
(٣) في (ب): «سبقه».
(٤) في الأوربية: «فصرت كالعبد».
(٥) ديوان ابن عبّاد ١٠٠، الذخيرة لابن بسّام ق ٢ مجلّد ٧٣/١، وفيات الأعيان ٣٥/٥، ٣٦، قلائد العقيان ٢٥، المختصر ٢٠٧/٢، ٢٠٨، سير أعلام النبلاء ٦٤/١٩، تاريخ الإسلام (٤٨١ - ٤٩٠ هـ.) ص ٢٧١، تاريخ ابن الوردي ١٦/٢، الوافي بالوفيات ١٨٦/٣، مرآة الجنان ١٤٨/٣.
(٦) من (ب).
(٧) في (ب): «ما أنادي».
(٨) في (ب): «ملب».
(٩) في (ب): «خاشعاً».

وأخذ في إتمام القصيدة، فاجتمع الناس كلّهم عليه يبكون. ولو أخذنا في تفصيل مناقبه ومحاسنه لطال الأمر، فلنقف عند هذا[1].

ذكر وفاة الوزير أبي شجاع

في هذه السنة توفّي الوزير أبو شجاع محمّد بن الحسين بن عبدالله، وزير الخليفة، في جمادى الآخرة، وأصْله من رُوذراور، ووُلد بالأهواز، وقرأ الفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازيّ، وكان عالماً بالعربية، وله تصانيف منها: «ذيل تجارب الأمم»، وكان عفيفاً، عادلاً، حَسَن السيرة، كثير الخير والمعروف، وكان موته بمدينة رسول الله، ﷺ، كان مجاوراً فيها.

ولمّا حضره الموت أمر فحُمل إلى مسجد النبيّ، ﷺ، فوقف بالحضرة وبكى، وقال: يا رسول الله! قال الله، عزّ وجلّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّابًا رَحِيماً﴾[2]؛ وقد جئت معترفاً بذنوبي وجرائمي أرجو شفاعتك.

وبكى فأكثر، وتوفّي من يومه، ودُفن عند قبر إبراهيم ابن النبيّ، ﷺ[3].

ذكر الفتنة بنَيسابور

في هذه السنة، في ذي الحجّة، جمع أمير كبير من أمراء خُراسان جمعاً كثيراً، وسار بهم إلى نَيسابور، فحصرها، فاجتمع أهلُها وقاتلوه أشدّ قتالٍ، ولازم حصارهم نحو أربعين يوماً، فلمّا لم يجد له مطمعاً فيها سار عنها في المحرّم سنة تسع وثمانين [وأربعمائة]، فلمّا فارقها وقعت الفتنة بها بين الكرّاميّة وسار الطوائف من أهلها، فقُتل بينهم قتلى كثيرة.

---

(١) انظر عن (المعتمد بن عبّاد) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٦٤ ـ ٢٧٤ رقم ٢٨٤ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) سورة النساء، الآية ٦٣.

(٣) انظر عن (وفاة أبي شجاع) في: الفخري ٢٩٩ وفيه وفاته سنة ٥١٣ هـ. وهو غلط، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٤١.

وكان مقدَّم الشافعيّة أبا القاسم ابن إمام الحرمَيْن أبي المعالي الجُوينيّ، ومقدَّم الحنفيّة القاضي محمّد بن أحمد بن صاعد، وهما متّفقان على الكرّاميّة، ومقدّم الكرّاميّة محمشاد، فكان الظَّفَر للشافعيّة والحنفيّة على الكرّاميّة، فخربت مدارسهم، وقُتل كثير منهم ومن غيرهم، وكانت فتنة عظيمة.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة، في ربيع الآخر، شرع الخليفة في عمل سور على الحريم، وأذِن الوزير عميد الدولة بن جَهِير للعامّة في التفرّج والعمل، فزيّنوا البلد، وعَمِلوا[1] القِباب، وجدّوا في عمارته[2].

وفيها، في شهر رمضان، جُرح السلطان بركْيارُق، جرحه إنسان ستريّ[3] له، من أهل سجِستان، في عضُده، ثم أُخذ الرجل، وأعانه رجلان أيضاً من أهل سِجِسْتان، فلمّا ضُرب الرجل الجارح اعترف أنّ هذَيْن الرجلَيْن وضعاه، واعترفا بذلك، فضُربا الضرب الشديد، ليقرّا على من أمرهما بذلك، فلم يقرّا، فقُرّبا إلى الفيل ليُجعلا تحت قوائمه، وقُدّم أحدهما، فقال: اتركوني وأنا أعرّفكم؛ فتركوه، فقال لصاحبه: يا أخي لا بدّ من هذه القتلة، فلا تفضح أهل سِجِستان بإفشاء الأسرار؛ فقُتلا[4].

وفيها توجّه الإمام أبو حامد الغزاليُّ إلى الشام، وزار القدس، وترك التدريس في النظاميّة، واستناب أخاه، وتزهّد، ولبس الخشن، وأكل الدون، وفي هذه السفرة صنّف «إحياء علوم الدِّين»، وسمعه منه الخلْق الكثير بدمشق، وعاد إلى بغداذ بعدما حجّ في السنة التالية، وسار إلى خُراسان[5].

---

(١) في الأوربية: «وعمل».
(٢) نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٤، تاريخ الإسلام ٤٢، البداية والنهاية ٢/ ١٤٩.
(٣) في (ب): «سفري».
(٤) المنتظم ٩/ ٨٦ (١٧/ ١٧، ١٨)، تاريخ الإسلام ٤٢، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٩.
(٥) المنتظم ٩/ ٨٧ (١٧/ ١٨)، المختصر ٢/ ٢٠٨، العبر ٣/ ٣١٩، تاريخ الإسلام ٤٢، مرآة الجنان ٣/ ١٤٥، ١٤٦، البداية والنهاية ١٢/ ١٤٩، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٨، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٢، =

(وفيها، في ربيع الأوّل، خُطب لوليّ العهد أبي الفضل منصور بن المستظهر بالله)[1].

وفيها عزل بركيارق وزيرَه مؤيّد المُلك بن نظام المُلك، واستوزر أخاه فخر الملك؛ وسبب ذلك أنّ بركْيارُق لمّا هزم عمّه تُتُش، وقتله، أرسل خادماً ليُحضر والدته زبيدة خاتون من أصبهان، فاتّفق مؤيّد المُلك مع جماعة من الأمراء، وأشاروا عليه بتركها، فقال: لا أريد المُلك إلاّ لها، وبوجودها عندي؛ فلمّا وصلتْ إليه وعلمت الحال تنكّرت على مؤيّد المُلك، وكان مجد المُلك أبو الفضل البلاسانيُّ قد صحِبَها في طريقها، وعلم أنّه لا يتمّ له أمر مع مؤيّد المُلك، وكان بين مؤيَّد المُلك وأخيه فخر المُلك (تَبَاعدٌ)[2] بسبب جواهر خلّفها أبوهم نظام المُلك، فلمّا علم فخر المُلك تنكُّرَ أمّ[3] السلطان على أخيه مؤيّد المُلك أرسل وبذل أموالاً جزيلة في الوزارة، فأُجيب إلى ذلك، وعُزل أخوه ووليَ هو[4].

[الوَفَيَات]

وفي هذه السنة، في جمادى الأولى، توفّي أبو محمّد رزق الله[5] بن عبد الوهّاب التميميُّ، الفقيه الحنبليُّ، وكان عارفاً بعدّة علوم، وكان قريباً من السلاطين.

= شذرات الذهب ٣/ ٣٨٣.

وعلّق اليافعي على تصنيف الغزالي للإحياء وإسماعه بدمشق فقال إن هذا مخالف لما ذكر الإمام أبو حامد في كتابه «المنقذ من الضلال» أنه أقام في الشام قريباً من سنتين مختلياً بنفسه، ولم يذكر إسماعه «الإحياء» ولا تصنيفه إياه، ولو كان لذكره كما ذكر علوماً أخرى صنف فيها قبل السفر أيضاً. فتصنيف «الإحياء» مع ما اشتمل عليه من العلوم الواسعة المحاكية للبحر الذي أمواجه متعاقبة لا يمكن وضعه في سنتين ولا ثالثة ولا رابعة. (مرآة الجنان ٣/ ١٤٥، ١٤٦).

(١) من (ب).

(٢) من (ب).

(٣) في (ب): «الكرم».

(٤) نهاية الأرب ٢٦/ ٣٣٩، تاريخ الإسلام ٤٢.

(٥) انظر عن (رزق الله) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦ رقم ٢٦٥ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

وفيها، في رجب، توفّي أبو الفضل أحمد بن الحسن بن خَيرون، المعروف بابن الباقلانيّ[(١)]، وهو مشهور، ومولده سنة ستّ[(٢)] وأربعمائة.

وفيها، في شعبان، توفّي قاضي القضاة أبو بكر محمّد بن المظفّر[(٣)] الشاميُّ، وكان من أصحاب أبي الطَّيِّب الطَّبَريّ، ولم يأخذ على القضاء أجراً، وأقرّ[(٤)] الحقّ مقرّه، ولم يحابِ[(٥)] أحداً من خلق الله، ادّعى عنده بعض الأتراك على رجل شيئاً، فقال: أَلَكَ بيّنة؟ قال: نعم! فلان، والمشطّب الفقيه الفرغانيُّ؛ فقال: لا أقبل شهادة المشطّب لأنّه يلبس الحرير؛ فقال (التركيُّ: فالسلطان ونظام المُلك يلبسان الحرير؛ فقال)[(٦)]: لو شهدا عندي على باقة بَقَل لم أقبل شهادتهما؛ ووليَ القضاء بعده أبو الحسن عليّ ابن قاضي القضاة أبي عبدالله محمّد الدامغانيّ.

وفيها مات القاضي أبو يوسف عبد السلام بن محمّد القزوينيُّ[(٧)]، ومولده سنة إحدى عشرة وأربعمائة، وكان مغالياً في الاعتزال، وقيل كان زيديّ المذهب.

وفيها توفّي القاضي أبو بكر بن الرطبيّ[(٨)]، قاضي دُجَيْل، وكان شافعيّ المذهب، ووليَ بعده أخوه حمْد بن[(٩)] أحمد بن الحسن بن أحمد أبو الفضل الحدّاد

---

(١) انظر عن (ابن الباقلاني) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٣١ ـ ٢٣٣ رقم ٢٥١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٢) من الباريسية.

(٣) انظر عن (محمد بن المظفّر) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٧٦ ـ ٢٨٠ رقم ٢٩١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٤) في الأوربية: «وأقرأ».

(٥) في الأوربية: «يخاب».

(٦) من (ب).

(٧) انظر عن (عبد السلام القزويني) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٥٠ ـ ٢٥٥ رقم ٢٧٢ وفيه حشدت مصادر ترجمته، يضاف إليها كتاب «التذكرة» لابن العديم، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢٠٤٢ أدب ـ ص ١٢٨ ـ ١٤٥.

(٨) في طبعة صادر ٢٥٣/١٠ «أبو بكر» والمثبت عن مصادرترجمته.

(٩) في طبعة صادر ٢٥٤/١٠ «أبو العباس» والتصحيح من مصادر الترجمة.

الأصبهانيُّ[1]، صاحب أبي نُعيم الحافظ، وروى عنه «حِلْيَة الأولياء»، وهو أكبر من أخيه أبي عليّ[2]؛ وأبو عبدالله محمّد بن أبي نصر فتُّوح بن عبدالله بن حُميد الحُمَيديُّ[3] الأندلسيُّ، وُلد قبل العشرين وأربعمائة، وسمع الحديث ببلده، ومصر، والحجاز، والعراق، وهو مصنّف «الجمع بين الصحيحَيْن»،[4] وكان ثقةً فاضلاً، وتوفّي في ذي الحجّة، ووقف كُتُبه فانتفع بها الناس.

---

(١) انظر عن أبي الفضل الحداد في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ١٧١، ١٧٢ رقم ١٧٩ وفيه مصادر ترجمته. (في وفيات ٤٨٦ هـ.) وانظر ص ٢٤٠ رقم ٢٦٠ (في وفيات ٤٨٨ هـ.).

(٢) في طبعة صادر ١٠/٢٥٤ «أبي المعالي»، والمثبت من (ب)، ومصادر ترجمته في تاريخ الإسلام ١٧٢.

(٣) انظر عن (الحميدي) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٨٠ ـ ٢٨٥ رقم ٢٩٢ وفيه حشدت عشرات المصادر لترجمته.

(٤) مطبوع في مجلَّدين.

٤٨٩
ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة

ذكر قتل يوسف بن آبق والمجنّ الحلبيّ

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل يوسف بن آبق الذي ذكرنا أنّه سيّره تاج الدولة تُتُش إلى بغداذ ونهب سوادها.

وكان سبب قتله أنّه كان بحلب، بعد قتل تاج الدولة، وكان بحلب إنسان يقال له المِجنّ، وهو رئيس الأحداث بها، وله أتباع كثيرون، فحضر عند جناح الدولة حسين، وقال له: إنّ يوسف بن آبق يكاتب ياغي سيان[1]، وهو على عزم الفساد؛ واستأذنه في قتله، فأذِن له، وطلب أن يعينه بجماعة من الأجناد، ففعل ذلك، فقصد المِجنّ الدار التي بها يوسف، فكبسها من الباب والسطح، وأخذ يوسف فقتله، ونهب كلّ ما[2] [كان] في داره، وبقي بحلب حاكماً، فحدّثته نفسه بالتفرّد بالحكم عن الملك رضوان، فقال لجناح الدولة: إنّ الملك رضوان أمرني بقتلك، فخذ لنفسك؛ فهرب جناح الدولة إلى حِمص، وكانت له، فلمّا انفرد المِجنّ بالحكم تغيّر عليه رضوان، وأراد منه أن يفارق البلد، فلم يفعل، وركب في أصحابه، (فلو همّ)[3] بالمحاربة لفعل، ثمّ أمر أصحابه أن ينهبوا ماله، وأثاثه، ودوابّه، ففعلوا ذلك، واختفى، فطُلب فوُجد بعد ثلاثة أيّام، فأُخذ وعُوقب وعُذّب، ثم قُتل هو وأولاده، وكان من السواد يشقّ الخشب، ثم بلغ هذه الحالة[4].

---

(١) في الباريسية: «باغي سان».
(٢) في الأوربية: «كلما».
(٣) في (ب): «فأمرهم».
(٤) زبدة الحلب ٢/١٢٣ ـ ١٢٥، ذيل تاريخ دمشق ١٣٥، تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٨ (٢٤).

ذكر وفاة منصور بن مروان

في هذه السنة، في المحرّم، توفّي منصور بن نظام الدين بن نصر الدولة بن مروان، صاحب ديار بكر[١]، وهو الذي انقرض أمر بني مروان على يده، حين حاربه فخر الدولة بن جَهِير، وكان جكرمش قد قبض عليه بالجزيرة، وتركه عند رجل يهوديّ، فمات في داره، وحملتْه زوجته إلى تُربة (آبائه، فدفنته ثم حَجّت[٢]، وعادت إلى بلد البشنويّة، فابتاعت ديراً من بلد فَنَك بقرب)[٣] جزيرة ابن عمر، وأقامت فيه تعبد الله.

وكان منصور شجاعاً، شديد البخل، له في البخل حكايات عجيبة. فتعساً لطالب الدنيا، المعرِض عن الآخرة، ألا ينظر[٤] إلى فعلها بأبنائها؛ بينما منصور هذا مِلكٌ من بيت ملك آل أمره إلى أن مات في بيت يهوديّ، نسأل الله تعالى أن يحسّن أعمالنا، ويصلح عاقبة أمرنا في الدنيا والآخرة، بمنّه وكرمه[٥].

ذكر ملك تميم مدينة قابس أيضاً

في هذه السنة ملك تميم بن المعزّ مدينة قابِس، وأخرج منها أخاه عَمْراً[٦].

وسبب ذلك أنّها كان بها إنسان يقال له(قاضي بن)[٧] إبراهيم بن بلمونه فمات[٨]، فولّى أهلُها عليهم عمرو بن المعزّ، فأساء السيرة، وكان قاضي بن إبراهيم عاصياً على تميم، وتميم يُعرض عنه، فسلك عمرو طريقه في ذلك[٩]، فأخرج تميم

---

(١) زاد في (ب): «بالجزيرة».

(٢) في الأوربية: «حجب».

(٣) ما بين القوسين من (ب).

(٤) في الأوربية: «تنظر».

(٥) انظر عن وفاة منصور بن مروان في: تاريخ الفارقي ٢٤٧ وفيه وفاته ٤٨٦ هـ.، والنجوم الزاهرة ٥/١٥٧.

(٦) في الأوربية: «عمرواً».

(٧) من الباريسية.

(٨) زاد في الباريسية: «قاضي بن».

(٩) في (ب): «العصيان».

العساكر إلى أخيه (عمرو ليأخذ المدينة منه، فقال له بعض أصحابه: يا مولانا لمّا كان فيها قاضي توانَيتَ)[1] عنه وتركتَه، فلمّا وليها أخوك جرّدت إليه العساكر؛ فقال: لمّا كان فيها غلام من عبيدنا كان زواله سهلاً علينا، وأمّا اليوم، وابن المعزّ (بالمهديّة، وابن المعزّ)[2] بقابِس، فهذا[3] ما لا يمكن السكوت عليه.

وفي فتحها يقول ابن خطيب سُوسَة القصيدة المشهورة التي أوّلها:

ضَحِكَ الزَّمانُ، وكان يُلْقَى عابِسَا ... لمّا فتَحْتَ بحدّ سيفِك قابِسَا
اللهُ يعلمُ ما حَوَيتَ ثِمارَها ... إلاّ وكان أبوك، قبلُ، الغارِسا
من كانَ في زُرقِ الأسنّةِ خاطباً، ... كانت لَهُ قللُ البلادِ عرائسَا
فابشِرْ تميم بن المعِزّ بفَتكةٍ ... تركَتْك مِن أكنافِ قابِسَ قابسَا
ولّوا، فكَمْ تَركوا هُناك مَصانِعاً ... ومَقاصرا، ومَخالداً، ومَجالسَا
فكأنّها قَلْبٌ، وهُنَّ وساوِسٌ، ... جاء اليقينُ، فذاد[4] عنه وسَاوِسَا

ذكر ملك كربوقا الموصل

في هذه السنة، في ذي القعدة، ملك قِوام الدولة أبو سعيد كربوقا مدينة الموصل، وقد ذكرنا أنّ تاج الدولة تُتُش أسره لمّا قتل آقسنقَر وبوزان، فلمّا أسره أبقى عليه، طمعاً في استصلاح حميّه[5] الأمير أُنر، ولم يكن له بلد يملكه إذا قتله، كما فعل بالأمير بوزان، فإنّه قتله واستولى[6] على بلاده الرُّها وحَرّان.

ولم يزل قِوام الدولة محبوساً بحلب إلى أن قُتل تُتُش، وملك ابنه الملك رضوان حلبَ[7]، فأرسل السلطان بركْيارُق رسولاً يأمره بإطلاقه وإطلاق أخيه[8] آلْتُونتاش،

(١) من الباريسية.
(٢) من (ب).
(٣) في الأوربية: «هذا».
(٤) في الأوربية: «فزاد».
(٥) في (ب): «جهه».
(٦) في (ب): «حتى استولى».
(٧) في الأوربية: «حلباً».
(٨) في الأوربية: «أخاه».

فلمّا أُطلقا سارا واجتمع عليهما كثير من العساكر البطّالين، فأتيا حَرّان فتسلّماها، وكاتبهما محمّد بن شرف الدولة مسلم بن قُريش، وهو بنَصِيبين، ومعه ثروان بن وهيب، وأبو الهيجاء الكرديُّ، يستنصرون بهما على الأمير عليّ بن شرف الدولة، وكان بالموصل قد جعله بها تاج الدولة تُتُش بعد وقعة المُضَيَّع.

فسار كَربوقا إليهم، فلقيه محمّد بن شرف الدولة على مرحلتَيْن من نَصِيبين، واستحلفهما لنفسه، فقبض عليه كربوقا بعد اليمين، وحمله معه، وأتى[1] نَصِيبين، فامتنعت عليه، فحصرها أربعين يوماً، وتسلّمها، وسار إلى الموصل فحصرها، فلم يظفر منها بشيء، فسار عنها إلى بَلَد، وقتل بها محمّدَ بن شرف الدولة، وغرّقه، وعاد إلى حصار الموصل، ونزل على فرسخ منها بقرية باحلافة، وترك ألْتُونتاشَ شرقيّ الموصل، فاستنجد عليّ بن مُسلّم صاحبُها بالأمير جكرمِش، صاحب جزيرة ابن عمر، فسار إليه نجدةً له، فلمّا علم ألْتُونتاش بذلك سار إلى طريقه، فقاتله، فانهزم جكرمش، وعاد إلى الجزيرة منهزماً، وصار في طاعة كربوقا، وأعانه على حصر الموصل، وعُدِمت الأقوات بها وكلّ شيء، حتّى ما يوقدونه، فأوقدوا القِيرَ، وحَبّ القطن.

فلمّا ضاق بصاحبها عليّ الأمر فارقها وسار إلى الأمير صدقة بن مَزْيد بالحِلّة، وتسلّم كربوقا البلد بعد أن حصره تسعة أشهر، وخافه أهله لأنّه بلغهم أنّ ألْتُونتاش يريد نهبهم، وأنّ كربوقا يمنعه من ذلك، فاشتغل ألْتُونتاش بالقبض على أعيان البلد، ومطالبتهم بودائع البلد[2]، واستطال على كربوقا، فأمر بقتله، فقُتل في اليوم الثالث، وأمِن الناس شرّه، وأحسن كربوقا السيرة فيهم، وسار نحو الرَّحبة، فمُنع عنها. فملكها ونهبها واستناب بها وعاد[3].

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة اجتمع ستّة كواكب في بُرج الحوت، وهي الشمسُ، والقمرُ،

---

(١) في (ب): «إلى».

(٢) في (ب): «العرب».

(٣) الروضتين ١/ ٦٧، المختصر ٢/ ٢٠٨، العبر ٣/ ٣٢٤، دول الإسلام ٢/ ١٨، تاريخ الإسلام ٤٣، تاريخ ابن الوردي ٢/ ٩، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٢.

والمشتري، والزُّهَرَةُ، والمرّيخُ، وعُطاردُ، فحكم المنجّمون بطُوفان يكون في الناس يقارب طُوفان نوح، فأحضر الخليفة المستظهر بالله ابن عَيْسون المنجّم، فسأله، فقال: إنّ طُوفان نوح اجتمعت الكواكب السبعة في برج الحوت، والآن فقد اجتمع ستّة منها، وليس منها زُحَل، فلو كان معها لكان مثل طُوفان نوح، ولكن أقول إنّ مدينة، أو بقعة من الأرض يجتمع فيها عالم كثير من بلاد كثيرة، فيغرقون؛ فخافوا على بغداذ، لكثرة من يجتمع فيها من البلاد، فأُحكمت المسنيّات، والمواضع التي يُخشى منها الانفجار والغرق.

فاتّفق أن الحجّاج نزلوا بوادي المياقت[1]، بعد نَخلَة، فأتاهم سيل عظيم فأغرق أكثرهم، ونجا من تعلّق بالجبال، وذهب المال، والدوابّ، والأزواد، وغير ذلك، فخلع الخليفة على المنجّم[2].

وفيها، في صفر، درّس الشيخ أبو عبدالله الطبريُّ الفقيه الشافعيُّ بالمدرسة النِّظاميّة ببغداذ، رتّبه فيها فخر المُلك بن نظام المُلك، وزير بركيارُق[3].

وفيها أغارت خفاجة على بلد سيف الدولة صدقة بن مَزْيد، فأرسل في أثرهم عسكراً، مقدّمه ابن عمّه قُريش بن بدران بن دُبَيْس بن مَزْيد، فأسرته خفاجة، وأطلقوه، وقصدوا مشهد الحسين بن عليّ، عليه السّلام، فتظاهروا فيه بالفساد والمنكر، فوجّه إليهم صدقة جيشاً، فكبسوهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً في المشهد، حتّى عند الضريح، وألقى رجل منهم نفسه وهو على فرسه من على السور، فسلم هو والفرس[4].

[الوفيات]

وفي هذه السنة، في صفر، توفّي القاضي أبو مسلم وادع بن

---

(١) في (ب): «المناقت»، وفي المصادر: «المناقب».

(٢) المنتظم ٩/٩٧ (١٧/ ٣١، ٣٢)، ذيل تاريخ دمشق ١٣٣، تاريخ الزمان ١٢٢، ١٢٣، تاريخ مختصر الدول ١٩٦، نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٤، ٢٥٥، سير أعلام النبلاء ١٩/ ١٠٠، تاريخ الإسلام ٤٣، البداية والنهاية ١٢/ ١٥٢، شفاء الغرام (بتحقيقنا) ٢/ ٣٦٤، تاريخ الخميس ٢/ ٤٠٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٥٨، تاريخ الخلفاء ٤٢٦، أخبار الدول للقرماني (الطبعة الجديدة) ٢/ ١٦٦، ١٦٧.

(٣) تاريخ الإسلام ٤٤، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٢.

(٤) المنتظم ٩/ ٩٧ (١٧/ ٣١).

سليمان[1] قاضي معرّة النعمان والمستولي على أمورها، وكان (رجل زمانه همّةً وعلماً)[2].

(وفيها، في ربيع الأوّل، توفّي أبو بكر محمّد بن عبد الباقي[3] المعروف بابن الخاضبة[4]، المحدّث، وكان عالماً.

وفيها، في رمضان، توفّي أبو بكر [أحمد بن][5] عمر بن السَّمرقنديّ، ومولده سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائة.

وفيها، في رمضان، توفّي أبو الفضل عبد الملك بن إبراهيم[6] المقدسيُّ المعروف بالهَمَذانيّ، وكان عالماً في عدّة علوم، وقد قارب ثمانين سنة)[7].

---

(١) في تاريخ حلب للعظيمي ٣٥٨ (٢٤): «وادع بن عبدالله».

(٢) في (ب): «عالماً في عدة علوم قد قارب ثمانين سنة».

(٣) هو محمد بن أحمد بن عبد الباقي.

(٤) انظر عن (ابن الخاضبة) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣١٠ ـ ٣١٣ رقم ٣٢١ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٥) ما بين الحاصرتين ساقط من طبعة صادر ١٠/٢٦١ والمستدرك من مصادر ترجمته في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٢٩٢، ٢٩٣ رقم ٣٠٢.

(٦) انظر عن (عبد الملك بن إبراهيم) في: تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٠٣ ـ ٣٠٥ رقم ٣١٨ وفيه حشدت مصادر ترجمته.

(٧) ما بين القوسين من (ب).

٤٩٠

ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة

ذكر قتل أرسلان أرغون

في هذه السنة، في المحرّم، قُتل أرسلان (أرغون بن ألب أرسلان، أخو السلطان ملكشاه، بمرو، وكان قد ملك خُراسان)[١].

وسبب قتله أنّه كان شديداً على غلمانه، كثير الإهانة لهم والعقوبة، وكانوا يخافونه [خوفاً] عظيماً، فاتّفق أنّه الآن طلب غلاماً له، فدخل عليه وليس معه أحد، فأنكر عليه تأخّرَهُ عن الخدمة، فاعتذر، فلم يقبل عذره، وضربه، فأخرج الغلام سكّيناً معه وقتله، وأُخذ الغلام، فقيل له: لِمَ فعلتَ هذا؟ فقال: لأريح الناس من ظلمه.

وكان سبب ملكه خُراسان أنّه كان له، أيّام أخيه ملكشاه، من الإقطاع ما مقداره سبعة آلاف دينار، وكان معه ببغداذ لمّا مات، فسار إلى هَمَذان في سبعة غلمان، واتّصل به جماعة، فسار إلى نَيسابور، فلم يجد فيها مطمعاً، فتمّم[٢] إلى مرو، وكان شِحنة مرو أمير اسمه قودن[٣] من مماليك ملكشاه، وهو الذي كان سبب تنكّر السلطان ملكشاه على نظام المُلك، وقد تقدّم ذلك في قتل نظام المُلك، فمال إلى أرسلان أرغون، وسلّم البلد إليه، فأقبلت العساكر إليه، وقصد بَلخ، وبها فخر المُلك بن نظام المُلك، فسار عنها، ووزر لتاج الدولة تُتُش، على ما ذكرناه.

وملك أرسلان أرغون بَلخ، وتِرمِذ، ونَيسابور، وعامّة خُراسان، وأرسل إلى

---

(١) من (ب).

(٢) في (ب): «فمر».

(٣) في الباريسية: «قوذر».

السلطان بركْيارُق وإلى وزيره مؤيّد المُلك بن نظام المُلك يطلب أن يقرّ عليه خُراسان، كما كانت لجدّه داود، ما عدا نَيسابور، ويبذل[1] الأموال ولا ينازع في السلطنة. فسكت عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمّه تُتُش، فلمّا عزل السلطان بركْيارُقُ مؤيّدَ المُلك عن وزارته، ووليها أخوه فخر المُلك، واستولى على الأمور مجدُ المُلك البلاسانيُّ، قطع أرسلان أرغون مراسلة بركْيارُق، وقال: لا أرضى لنفسي مخاطبة البلاسانيّ؛ فندب بركْيارُق حينئذٍ عمّه بوربرس[2] بن ألب أرسلان، وسيّره في العساكر لقتاله.

وكان قد اتّصل بأرسلان عمادُ الملك أبو القاسم بن نظام المُلك، ووزر له، فلمّا وصلت العساكر إلى خُراسان لقيهم أرسلان أرغون، وقاتلهم، وانهزم منهم، وسار منهزماً إلى بَلْخ، وأقام بوربرس والعساكر التي معه بهراة.

ثم جمع أرغون عساكر جمّة وسار إلى مرو، فحصرها أيّاماً، وفتحها عَنوةً، وقتل فيها وأكثر، وقلع أبواب سورها وهدمه، فسار إليه بوربرس من هَرَاة، فالتقيا وتصافّا، فانهزم بوربرس سنة ثمانٍ وثمانين [وأربعمائة].

وسبب هزيمته أنّه كان معه من جملة العساكر التي سيّرها[3] معه بركيارق أمير آخرُ[4] ملكشاه، وهو من أكابر الأمراء، والأمير مسعود بن تاجر، وكان أبوه مقدّم عسكر داود، جدّ ملكشاه، ولمسعود منزلة كبيرة، ومحلّ عظيم، عند النّاس كافّة[5]، وكان بين أمير آخرُ وبين أرسلان مودّة قديمة، فأرسل إليه أرسلان أرغون يستميله، ويدعوه إلى طاعته، فأجابه إلى ذلك.

ثم إنّ مسعود بن تاجر قصد أمير آخُر زائراً له، ومعه ولده، فأخذهما وقتلهما، فضعف أمر بوربرس، وانهزم من أرسلان أرغون، وتفرّق عسكره، وأُسر، وحُمل إلى أرسلان أرغون، وهو أخوه، فحبسه بترمِذ، ثم أمر به فخُنق بعد سنة من حبسه، وقتل

---

(١) في الباريسية: «وبذل».
(٢) في (ب): «بوديرس».
(٣) في الأوربية: «الذي سير».
(٤) زاد في (ب): «اسمه».
(٥) في الأوربية: «كافة الناس».

أكابر عسكر خُراسان ممّن كان يخافه ويخشى تحكّمه عليه، وصادر وزيره عماد المُلك بثلاثمائة ألف دينار، وقتله، وخرب[1] أسوار مدن خُراسان، منها: سور سبزوار، وسور مرو الشاهجان، وقلعة سَرْخَس، وقهندز نَيسابور، وسور شَهْرَسْتَان، وغير ذلك، خربه جميعه سنة تسعٍ وثمانين [وأربعمائة]، ثم إنّه قُتل هذه السنة كما ذكرنا[2].

ذكر استيلاء عسكر مصر على مدينة صور

في هذه السنة، في ربيع الأوّل، وصل عسكر كثير من مصر إلى ثغر صور، بساحل الشام، فحصرها وملكها.

وسبب ذلك أنّ الوالي بها، ويُعرف بكُتَيْلة، أظهر العصيان على المستعلي، صاحب مصر، والخروج عن طاعته، فسيّر إليه جيشاً، فحصروه بها، وضيّقوا عليه وعلى من معه من جنديّ وعاميّ، ثم افتتحها عَنوةً بالسيف، وقُتل بها خلق كثير، ونُهب منها المال الجزيل، وأُخذ الوالي أسيراً بغير أمان، وحُمل إلى مصر فَقُتل بها[3].

ذكر ملك بركيارُق خراسان وتسليمها إلى أخيه سنجر

كان بركيارُق قد جهّز العساكر مع أخيه الملك سَنْجَر، وسيّرها إلى خُراسان لقتال عمّه أرسلان أرغون، وجعل الأمير قماج أتابك سَنجَر، ورتّب في وزارته أبا الفتح عليَّ بن الحسين الطُّغْرائيَّ، فلمّا وصلوا إلى الدامغان بلغهم خبر قتله، فأقاموا، حتّى لحِقهم السلطان بركْيارُق، وساروا إلى نَيسابور، فوصل إليها خامس جمادى الأولى من السنة وملكها بغير قتال، وكذلك سائر البلاد الخُراسانيّة، وساروا إلى بَلْخ.

---

(١) في (ب): «وحرق».

(٢) تاريخ مختصر الدول ١٩٦، المختصر ٢/ ٢٠٩، تاريخ الإسلام ٤٥، مرآة الجنان ٣/ ١٥٢، النجوم الزاهرة ٥/ ١٦١، تاريخ الخلفاء ٤٢٧، شذرات الذهب ٣/ ٣٩٤.

(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٣٣، ١٣٤، أخبار مصر لابن ميسّر ٢/ ٣٩، الدرّة المضية ٤٥٠، وفيه أنه فتح دمشق، وهو وهْم. ، تاريخ الإسلام ٤٥، اتعاظ الحنفا ٣/ ٢٠، النجوم الزاهرة ٥/ ١٥٩، وكتابنا: لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين ١٤١، الأعلاق الخطيرة ٢/ ١٦٦.

وكان عسكر أرسلان أرغون قد ملّكوا بعد قتله ابناً له صغيراً، عمره سبع سنين، فلمّا سمعوا بوصول السلطان أبعدوا إلى جبال طخَارستان، وأرسلوا يطلبون الأمان، فأجابهم إلى ذلك، فعادوا ومعهم ابن أرسلان أرغون، فأحسن السلطان لقاءه، وأعطاه ما كان لأبيه من الإقطاع أيّام ملكشاه، وكان وصوله إلى السلطان في خمسة عشر ألف فارس، فما انقضى يومهم حتّى فارقوه، واتّصلت كلّ طائفة منهم بأمير تخدمه، وبقي وحده مع خادم لأبيه، فأخذته والدة السلطان بركْيارُق إليها، وأقامت له من يتولّى خدمته وتربيته.

وسار بركْيارُق إلى تِرمِذ فسُلّمت إليه، وأقام عند بَلخ سبعة أشهر، وأرسل إلى ما وراء النهر، فأُقيمت له الخطبة بسَمَرقند وغيرها، ودانت له البلاد[1].

ذكر خروج أمير أميران بخُراسان مخالفاً

في هذه السنة لمّا كان السلطان بركيارُق بخُراسان خالف عليه أمير اسمه محمّد بن سليمان، ويُعرف بأمير أميران، وهو ابن عمّ ملكشاه، (وتوجّه إلى بلْخ)[2]، واستمدّ من صاحب غَزْنة، فأمدّه بجيش كثير، وفِيَلَة، وشرط عليه أن يخطب له في جميع ما يفتحه من خُراسان، فقويت شوكته، ومدّ يده في البلاد، فسار إليه الملك سَنجَر بن ملكشاه جريدة، ولا يعلم به أمير أميران، فكبسه، فجرى بينهما قتال ساعة، ثم أُسر، وحُمل إلى بين يدي سَنجَر، فأمر به فكُحل.

ذكر عصيان الأمير قودن ويارقطاش على السطان واستعمال حبشي على خُراسان

في هذه السنة عصى يارقطاش وقودن على السلطان بركيارُق.

وسبب ذلك أنّ الأمير قودن (كان قد صار في جملة الأمير قماج، فتوفّي،

---

(١) تاريخ مختصر الدولة ١٩٦، نهاية الأرب ٢٦/٣٤٠، المختصر في أخبار البشر ٢/٢٠٩، تاريخ الإسلام ٤٥، ٤٦، العبر ٣/٣٢٧.

(٢) من الباريسية.

والسلطان بمرو، فاستوحش قودن)[1]، وأظهر المرض، وتأخّر بمرو بعد مسير السلطان إلى العراق، وكان من جملة أمراء السلطان أمير اسمه اكنجي، وقد ولاّه السلطان خُوارِزم، ولقّبه خُوارِزمشَاه، فجمع عساكره وسار في عشرة آلاف فارس ليلحق السلطان، فسبق العسكر إلى مرو في ثلاثمائة فارس، وتشاغل بالشرب، فاتّفق قودن وأمير آخر اسمه يارقطاش على قتله، فجمعا خمسمائة فارس وكبسوه وقتلوه، وساروا إلى خُوارزم، وأظهروا أنّ السلطان قد استعملهما عليها فتسلّماها.

وبلغ الخبر إلى السلطان، فتمّ المسير إلى العراق، لمّا بلغه من خروج الأمير أُنَر ومؤيّد الملك عن طاعته، وأعاد (أمير داذ حبشي)[2] بن ألْتُونتاق[3] في جيش إلى خُراسان لقتالهما، فسار إلى هَراة، وأقام ينتظر اجتماع العساكر معه، فعاجلاه في خمسة عشر ألفاً، فعلم أمير داذ[4] أنّه لا طاقة له بهما، فعبر جَيحون، فسارا إليه، وتقدّم يارقطاش ليلحقه قودن، فعاجله يارقطاش وحده وقاتله، فانهزم يارقطاش وأُخذ أسيراً.

وبلغ الخبر إلى قودن، فثار به عسكره، ونهبوا خزائنه وما معه، فبقي في سبعة نفر، فهرب إلى بخارى، فقبض عليه صاحبها، ثم أحسن إليه، وبقي عنده، وسار من هناك إلى الملك سَنجَر ببلخ، فقبله أحسن قبول، وبذل له قودن أن يكفيه أموره، ويقوم بجمع العساكر على طاعته، فقُدّر أنّه مات عن قريب، وأمّا يارقطاش فبقي أسيراً إلى أن قُتل أمير داذ، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر ابتداء دولة محمّد بن خوارزمشاه

في هذه السنة أمّر بركْيارُق الأمير حبشي بن ألْتُونتاق على خُراسان، كما ذكرناه، فلمّا صفتْ له، وقُتل قودن، كما ذكرنا قبلُ، وليَ خُوارزم الأمير محمّد بن أنوشتكين، وكان أبوه أنوشتكين مملوك أمير من السلجوقيّة، اسمه بلكباك[5]، قد اشتراه من رجل

---

(١) من (ب).
(٢) في (ب): «الأمير داود الحبشي».
(٣) في (ب): «الومات».
(٤) في (ب): «داود».
(٥) في (ب): «بلكانك»، وفي العبر ٣/ ٣٢٧ «ملكايل»، وفي تاريخ الإسلام ٤٦ «بلكابك».

من غَرْشِسْتَانَ فقيل له أنوشتكين غرشحه، فكبر، وعلا أمره، وكان حسن الطريقة، كامل الأوصاف، وكان مقدّماً، مرجوعاً إليه، ووُلد له ولد سمّاه محمّداً، وهو هذا، وعلّمه، وخرّجه، وأحسن تأديبه، وتقدّم بنفسه، وبالعناية الأزليّة.

فلمّا وليَ أمير داذ حبشي خُراسان كان خُوارِزمشاه اكنجي قد قُتل، وقد تقدّم ذكره، ونظر الأمير حبشي فيمن يولّية خُوارِزم، فوقع اختياره على محمّد بن أنوشتكين، فولاّه خُوارِزم، ولقّبه خوارِزمشاه، فقصر أوقاته على مَعْدَلةٍ ينشرها، ومكرُمة يفعلها، وقرّب أهل العلم والدين، فازداد ذكره حُسناً، ومحلّه عُلُوّاً.

ولمّا ملك السلطان سَنجَر خُراسان أقرّ محمّداً خوارزمشاه على خُوارزم وأعمالها، فظهرت كفايته وشهامته، فعظّم سَنجَر محلّه وقدره.

ثم إنّ بعض ملوك الأتراك جمع جموعاً، وقصد خُوارزم، ومحمّد غائب عنها، وكان طُغْرلتكين[1] بن اكنجي، الذي كان أبوه خُوارزمشاه، قبلُ، عند السلطان سَنجرَ، فهرب منه، والتحق بالأتراك على خُوارزم، فلمّا سمع خُوارزمشاه محمّد الخبر بادر إلى خُوارزم، وأرسل إلى سَنجَر يستمدّه، وكان بنَيسابور، فسار في العساكر إليه، فلم ينتظره محمّد، فلمّا قارب خُوارزم هرب الأتراك إلى مَنْقَشْلاغَ، وطُغرلتكين أيضاً رحل إلى حندخان، وكُفي خوارزمشاه شرّهم.

ولمّا توفّي خُوارزمشاه وليَ بعده ابنه إتسِز، فمدّ ظلال الأمن، وأفاض العدل، وكان قد قاد الجيوش أيّام أبيه، وقصد بلاد الأعداء، وباشر الحروب، فملك مدينة مَنْقَشْلاغ.

ولمّا وليَ بعد أبيه قربه السلطان سَنجَر، وعظّمه، واعتضد به، واستصحبه معه في أسفاره وحروبه، فظهرت منه الكفاية والشهامة، فزاده تقدّماً وعُلوّاً؛ (وهو ابتداء مُلك بيت خُوارزمشاه تكَش، وابنه محمّد الذي ظهرت التّتر عليه، على ما نذكره إن شاء الله تعالى)[2].

---

(١) في (ب) زيادة: «محمد».

(٢) من الباريسية. والخبر في: نهاية الأرب ٢٣/ ٢٥٥، والمختصر ٢/ ٢٠٩، ودول الإسلام ٢/ ١٨، وتاريخ ابن الوردي ٢/ ٩، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٤، وتاريخ الإسلام ٤٦.

ذكر الحرب بين رُضْوان وأخيه دُقَاق

في هذه السنة سار الملك رضوان إلى دمشق، وبها أخوه دُقَاق، عازماً على أخذها منه. فلمّا قاربها، ورأى حصانتها وامتناعها، علم عجزه عنها، فرحل إلى نابُلُس، وسار إلى القُدْس ليأخذه، فلم يمكنه، وانقطعت العساكر عنه، فعاد ومعه ياغي[1] سيان، صاحب أنطاكية، وجناح الدولة.

ثم إنّ ياغي سيان فارق رضوان، وقصد دُقَاق، وحسّن له محاصرة أخيه بحلب، جزاء لما فعله، فجمع عساكر كثيرة وسار ومعه ياغي سيان، فأرسل رضوان رسولاً إلى سُقمان بن أُرتُق، وهو بسَرُوجَ، يستنجده، فأتاه في خلق كثير من التركمان، فسار نحو أخيه، فالتقيا بِقنَّسْرِين، فاقتتلا، فانهزم دُقاق وعسكره، ونُهبت خيامهم وجميع مالهم، وعاد رضوان إلى حلب، ثم اتّفقا على أن يخطب لرضوان بدمشق قبل دُقاق، وبأنطاكية، وقيل كانت هذه الحادثة سنة تسع وثمانين [وأربعمائة][2].

ذكر الخطبة للعلويّ المصريّ بولاية رُضوان

في هذه السنة خطب الملك رضوان في كثير من ولايته للمستعلي بأمر الله العلويّ، صاحب مصر.

وسبب ذلك أنّه كان عنده الأمير جناح الدولة، وهو زوج أمّه، فرأى من رضوان تغيّراً، فسار إلى حمص، وهي له، فلمّا رأي ياغي[3] سيان بُعْده عن رضوان صالحه، وقدِم إليه بحلب، ونزل بظاهرها.

وكان لرضوان منجّم يقال له الحكيم أسعد، وكان يميل إليه، فقدّمه بعد مسير جناح الدولة، فحسّن له مذاهب العلويّين المصريّين، وأتته رسل المصريّين يدعونه إلى طاعتهم، ويبذلون له المال، وإنفاذ[4] العساكر إليه ليملك دمشق، فخطب لهم بشَيْزَر،

---

(١) في طبعة صادر ١٠/ ٢٦٩ «باغي» والمثبت من الباريسية، والمصادر.

(٢) زبدة الحلب ٢/ ١٢٥، ١٢٦، نهاية الأرب ٢٧/ ٧٢، المختصر في أخبار البشر ٢/ ٢٠٩، ٢١٠، العبر ٣/ ٣٢٧، دول الإسلام ٢/ ١٩، تاريخ الإسلام ٤٦، ٤٧، مرآة الجنان ٣/ ١٥٢.

(٣) في طبعة صادر ١٠/ ٢٦٩ «باغي»، والمثبت من الباريسية والمصادر.

(٤) في (ب): «وأنفذت».

وجميع الأعمال سوى أنطاكية، وحلَب[1]، والمَعَرة، أربع جُمع، ثم حضر عنده سُقمان بن أُرتُق، وياغي[2] سيان، صاحب أنطاكية، فأنكرا ذلك واستعظماه، فأعاد الخطبة العبّاسيّة في هذه السنة، وأرسل إلى بغداذ يعتذر ممّا كان منه.

وسار ياغي سيان إلى أنطاكية، فلم يُقم بها غير ثلاثة أيّام حتّى وصل الفرنج إليها وحصروها[3]، وكان ما نذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر عدّة حوادث

في هذه السنة كانت فتنة عظيمة بخُراسان بين أهل سَبزوار وأهل خُسْرُوجِرْد، وقتال عظيم، فقُتل بينهم جماعة كثيرة، وانهزم أهل خُسْرُوجِرْدَ.

وفيها قُتُل عثمان، وكيل دار نظام الملك، وكان سبب قتله أنّه كان كاتَبَ صاحب غَزنَة بالأخبار من قِبَلِ[4] السلطان، فأُخذ وحُبس بترمِذَ مدّةً، ثم اطُّلع عليه، وهو في الحبس، أنّه كان يكاتبه أيضاً فقُتل.

وفي صفر منها قُتل عبد الرحمن السميرميُّ، وزير أمّ السلطان بركْيارُق، قتله باطنيٌّ غِيلةً، وقُتل الباطنيُّ بعده.

وفيها، في شعبان، ظهر كوكب كبير له ذُؤآبة، وأقام يطلع عشرين يوماً، ثم غاب ولم يظهر.

[الوَفَيَات]

وفيها توفّي النقيب الطّاهر أبو الغنائم[5] [المعمَّر بن محمد][6]، وكان ديّناً،

(١) في (ب): «وقلعة حلب».
(٢) في طبعة صادر ١٠/ ٢٧٠ «باغي».
(٣) ذيل تاريخ دمشق ١٣٤، تاريخ الزمان ١٢٢، أخبار الدول المنقطعة ٨٢، زبدة الحلب ٢/ ١٣٠، ١٣١، المختصر ٢/ ٢١٠، دول الإسلام ٢/ ١٩، تاريخ الإسلام ٤٧، ٤٨.
(٤) في (ب): «جهة».
(٥) في طبعة حيدر أباد من المنتظم ٩/ ١٠٤ «أبو القائم».
(٦) في طبعة صادر ١٠/ ٢٧١ «محمد بن عبدالله»، والمثبت من: المنتظم ٩/ ١٠٤ رقم ١٥٢ (١٧/ ٤١ رقم ٣٦٧٤)، والبداية والنهاية ١٢/ ١٥٥، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٤٤ رقم ٣٧١.

سخيّاً، كريماً، متعصبّاً، حنفيّ المذهب، ووليَ النقابة بعده ولده أبو الفتوح حيدرة.

وفيها توفّي أبو القاسم يحيى بن أحمد [بن أحمد][1] السيبيُّ[2] وهو ابن مائة سنة وسنتَيْن[3]، وهو صحيح الحواسّ، وكان مقرئاً، محدّثاً، حاضر[4] القلب.

وفيها قُتل أرغش النظاميُّ[5]، مملوك نظام الملك، بالريّ وكان قد بلغ مبلغاً عظيماً بحيث أنّه تزوّج ابنة ياقوتي عمّ السلطان بركيارق، قتله باطنيّ، (وقُتل قاتله.

وقُتل بُرسُق[6] في شهر رمضان، وهو من أكابر الأمراء، قتله باطنيّ)[7]، وكان بُرسق من أصحاب السلطان طُغْرلبك، وهو أوّل شِحنة كان ببغداذ.

---

(١) زيادة من (ب) ومن مصادر ترجمته التي حشدتها في تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٤٩ رقم ٣٧٦.

(٢) السيبي: نسبة إلى سيب، قرية بنواحي قصر ابن هبيرة. (الأنساب ٧/ ٢١٥) وفي (ب): «السبتي»، وفي البداية والنهاية ١٢/ ١٥٥ «البستي» وهو تصحيف.

(٣) في (ب): وستين سنة.

(٤) في الأوربية: «حاصر».

(٥) تاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٣٢ رقم ٣٣٨.

(٦) انظر عن (برسق) في: بغية الطلب (تراجم السلاجقة) ١٤٨، ٢٠٤، ٣٣٥، ٣٦٢، وزبدة التواريخ ١٤٨، ١٩٢، وتاريخ الإسلام (٤٨١ ـ ٤٩٠ هـ.) ص ٣٣٢ رقم ٣٤٠.

(٧) ما بين القوسين من (ب).